الطبعة الأولى

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

رمضان ۱٤٣٩هـ. - يونيو - حزيران ٢٠١٨م.

يوزع مجاناً عن روح المرحومين بإذن الله

أ. محمد مدحت كبارة

د. محمود ابراهیم خلیل السیدة یسری داود

وصدقة جارية عن أرواح أموات جميع المسلمين والمسلمات

لبنان - طرابلس

www.3alamatnisurah.com www.3alamatnisourat.com



جمۓ وإعداد **م. عـامــر كـبّــارة**



ر اهسر لاء

إلى الذين يُريدون أنْ يعرِفوا السببَ في رغبة الرسول الكريم عليه الله الذين يُريدون أنْ تكون سورةُ «المُلْك» في قلب كلِّ مؤمن..

إلى كلِّ مسلم ومسلمة..

إلى والدتي الكريمة -حفظها الله- ووالدي الكريم -رحمه الله-..

إلى زوجتي الحبيبة.. وأولادي.. وأزواجهم.. وأحفادي..

وسائر العائلة الكريمة..

إلى الإخوة والأصدقاء الأجلَّاء..

أهدي هذا الكتاب

JEST CONTRACT

المقرمت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتَم الأنبياء والمرسلين، سيدِنا محمد وعلى آله وصحبه، ومَن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن القرآنَ الكريم كلَّه له فضلٌ كبيرٌ، سواءٌ في قراءته أو التفكير فيه أو التعلُّمِ منه، إلا أن بعضَ السور في القرآن الكريم ورد فيها فضلٌ خاصٌ بها، وسورة «المُلْك» إحدى هذه السور التي ورد في فضلها الكثير من الآثار.

لقد اعتاد كثيرٌ من المسلمين قراءة سورة «المُلْك» قبل النوم، بالإضافة إلى قراءتها في الصلاة وسائر الأوقات؛ لما لها من فضائل، كما ورد عن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

ولذك كان من الضروريِّ التذكيرُ بمعاني هذه السورة، وإلقاءُ الضوءِ على ما تحتويه من معانٍ إرشاديَّةٍ جليلةٍ ، بتفسيرٍ يسيرٍ سهلٍ ، بحيث يقرؤها الشبابُ – وهم المقصودُ بالدرجة الأولى – والعامَّةُ بسهولة؛ لتثبيت الإيان واليقين في مُلْك الله وقدرتِه سبحانه؛ وبذلك نظل نتفكر في معانيها؛ لتنعكس على سلوكنا وأعالنا في حياتنا، وهذا هو المطلوب.

ومن فوائدها الخاصة أنها تشفع لصاحبها حتى يُغفَر له؛ وذلك يعنى أن أثرَها أعظم من الوقاية من التعذيب في القبر فحسب، بل خيرُها

وبركتُها مُمَتدَّان إلى ما بعد ذلك، وذلك بإذن الله تعالى. وقد ورد أنها خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة. وهي «المانعة» من عذاب القبر، وكان النبي عَلَيْ لا ينام حتى يقرأها مع سورة السجدة.

ومن أجَمَل ما كُتِبَ في أغراض هذه السورة ما قاله ابن عاشور:

(إفتُتحتِ السورةُ بها يدلُّ على منتهى كهال الله افتتاحًا يُؤذِنُ بأنَّ ما حَوتْهُ يُحوم حولَ تنزيهِ الله عن النقص الذي افتراه المشركون لَّا نسبوا إليه شركاءَ في الرُّبوبية والتصرُّ فِ معه، والتعطيلِ لبعض مُراده، ففي هذا الافتتاح براعةُ الاستهلال.

والأغراض التي في هذه السورة جارية على سُن الأغراض في السور المكية؛ ابتدأت بتعريف المؤمنين معاني من العلم بعظمة الله وتَفرُّدِه بالمُلك الحقّ، والنظر في إتقان صُنعِه الدَّالِّ على تفرُّده بالإلهية، فبذلك يكون في تلك الآيات حَظُّ لِعِظَةِ المشركين، ومن ذلك التذكيرُ بأنه أقام نظام الموتِ والحياة لتظهر في الحالتين مجاري أعهال العباد في ميادين السَّبْقِ إلى أحسن الأعهال، ونتائج مجاريها، وأنه هو الذي يحازي عليها، وانفراده بخلق العوالم خلقًا بالغًا غاية الإتقان فيها تُرادُ له، وأتبعَه بُالأمر بالنظر في ذلك، وبالإرشاد إلى دلائله إلى تحذير الناس من كيد الشياطين، والارتباط معهم في عناب جهنم، وأن في اتباع من كيد الشياطين، والارتباط معهم في عناب جهنم، وأن في اتباع علم الله بها يحوكونه للرسول ظاهرًا وخفيةً بأنَّ علمَ الله محيطُ بمخلوقاته، والتذكير بمِنَّة خلق العالم الأرضي ودقّة نظامِه ومُلاءَمتِه لحياة الناس وفي عرب وعناء فيتذكروا قيمة النعم بتصوُّر زوالها، النظام، فيصبح الناس في كرب وعناء فيتذكروا قيمة النعم بتصوُّر زوالها،

وضَرَب لهم مثلًا في لطفه تعالى بهم بلطفه بالطير في طيرانها، وآيسَهُم من التوكل على نُصرة الأصنام أو على أنْ ترزقهم رزقًا، فَظَّعَ لهم حالة الضلال التي ورَّطوا أنفسَهم فيها، ثم وَبَّخ المشركين على كفرهم نعمة الله وعلى وقاحتهم في الاستخفاف بوعيده، وأنه وَشِيكُ الوقوع بهم، ووبَّخهم على استعجالهم موت النبي ليستريحوا من دعوته، وأوعدهم بأنهم سيعلمون ضلالهم حين لا ينفعهم العلم، وأنذرهم بها قد يَحُلُّ بهم من قحط وغيره، هذا وبالله التوفيق).

وبهذا فإنه يمكن تلخيص الأهداف الرئيسة للسورة كما يلى:

ا إثبات عظمة الله وقدرته على الإحياء والإماتة والغاية من خلق الإنسان:

ابتدأت السورة الكريمة بتوضيح الهدف الأول، فذكرت أن الله جلَّ وعلا بيده الملك والسلطان، وهو المهيمن على الأكوان، الذي تخضع لعظمته الرقاب، وتنحني له الجِباه، المتصرِّفُ في الكائنات بالخلق والإيجاد، والإحياء والإماتة ليختبرنا، ﴿ بَنَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ آ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ آ اللَّهِ عَلَى كُلِّ اللَّهِ عَلَى كُلِّ اللَّهِ عَلَى كُلِّ اللَّهِ عَلَى كُلِّ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ وَالْعَرْبُرُ اللَّهُ وَالْعَرْبُرُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ ال

٢) إقامة الأدلَّة والبراهين على وحدانية رب العالمين:

ثم تحدثت عن خلق السماوات السبع، وما زيَّن الله به السماءَ الدنيا من الكواكب الساطعة، والنجوم اللامعة، وكلُّها أدلةٌ على قدرة الله ووحدانيته ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَتِ طِبَاقًا ﴾ سورة الملك/ ٣.

٣) بيان عاقبة المكذّبين الجاحدين للبعث والنشور:

ثم تناولت الحديث عن المجرمين - بشيء من الإسهاب - وهم يرون جهنم تتلظّى و تكاد تتقطع من شدة الغضب والغيظ على أعداء الله، وقارنت بين ما للكافرين وما للمؤمنين على طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنِّينَ يَخْشُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجُرُكِيرٌ ﴿ اللَّهُ سورة اللك / ١٢ والترهيب، فحذّرت من عذابه وسَخطه أنْ يحلَّ بأولئك الكفَرة الحاحدين لقوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنهُم مَن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يَغْسِفَ بِكُمُ ٱلأَرْضَ فَإِذَا هِ المحدين لقوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنهُم مَن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يَغْسِف بِكُمُ ٱلأَرْضَ فَإِذَا هِ للمكذّبين بدعوة الرسول من حلول العذاب بهم، في الوقت الذي كانوا يتمنّون فيه موت الرسول من حلول العذاب بهم، في الوقت الذي كانوا يتمنّون فيه موت الرسول عن علاك المؤمنين، ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمُ إِنْ أَهْلَكُنِي ٱللهُ وَمَن مَعْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ اللّٰ سورة اللك / ١٨ ،

وما ذُكِرَ عن سورة «المُلْك» كثيرٌ، وقد تمَّ بيانُ السورة المباركة مع تنظيم شروحاتها باختصار وسهولة كما ورد عن عدد من العلماء الأفاضل، حيث:

١ - تم ذِكْرُ ترتيب السورة في المصحف الشريف، وعدد آياتها،
 وأسباب نزولها، وفضلها، وقد جُمِعتْ من عدة مصادر.

٢ - شرح معاني الكلمات، وجُمِعتْ من عدة مصادر.

٣- من هداية الآيات، وقد اقتُبِس الكثيرُ منها من كتاب «أيسر التفاسير لكلام العليِّ القدير» للشيخ أبو بكر الجزائري ـ رحمه الله.

٤ - تفسير موضوعي للسورة: أخذ من كتاب «نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم» للشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله.

٥ - شرح وتفسير تفصيلي للسورة: أخذ من خواطر ومحاضرات الدكتور راتب النابلسي ـ حفظه الله.

وقد راجع ودقَّق هذا البحثَ الأخُ الأستاذُ محمد عهاد قلب اللوز حفظه الله ، وهو أستاذ في العلوم الإسلامية واللغة العربية، وقد بذل جهدًا مشكورًا في المراجعة والإخراج، ونرجو الله تعالى أن نكون قد وُفِّقْنا إلى المراد، واللهُ من وراء القصد، وهو العالمُ بها في الصدور، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

سورة المُلْك

آیاتها:

وهي سورة مكيَّة، وآياتها ثلاثون آية، وهي السورة رقم ٦٧، وهي في بداية الجزء التاسع والعشرين (٢٩) في المصحف الشريف.

تسميتها:

١ – والشائع في كتب السنة وكتب التفسير وفي أكثر المصاحف تسميــة هذه السورة سورة «اللُّك»، وكذلك ترجمها الترمذي: باب ما جاء في فضل سورة الملك، وكذلك عنونها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه.

٢ - سهاها النبي عَلَيْة سورة (تبارك الذي بيده الملك)، في حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة عن النبي عَلَيْة «أنَّ سورة من القرآن ثلاثون آية شفعَتْ لرجل حتى غُفِرَ له، وهي: سورة تبارك الذي بيده المُلْك».

٣ - وسُمِّت أيضًا (تبارك الملك) بمجموع الكلمتين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبمَسْمَع منه فيها رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنها أن رجلًا من أصحاب النبي على قَبْر قال له: ضربتُ خِبائي على قَبْر وأنا لا أحسَب أنه قبرٌ، فإذا فيه إنسان (أي: مدفون فيه) يقرأ سورة (تبارك المُلك) حتى ختمها، فقال رسول الله عليه: «هي المانعة، هي المُنْجِية؛ تُنْجِيه من عذاب القبر». حديث حسن غريب.

٤ - وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنَّا نسمِّيها
 على عهد رسول الله ﷺ «المانعة». (قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير

والأوسط، ورجاله ثقات) أي: أخْذًا من وصف النبي ﷺ إياها بأنها «المانعة المُنْجِية»، كما في حديث الترمذي المذكور آنفًا.

٦/ ٧- وفي الإتقان عن كتاب جمال القرَّاء: تُسمَّى أيضًا «الواقية»
 وتُسمَّى «المَنَّاعة» بصيغة المبالغة.

٨ - وذكر الفخر الرازي: أن ابن عباس رضي الله عنها كان يسميها «المجادلة»؛ لأنها تجادل عن قارئها عند سؤال المَلكَيْن.

٩ - وقيل أيضًا: إنها سُمِّيت «المخلِّصة»؛ لأنها تخاصم زبانية جهنم
 فلا يكون لهم يد على قارئها. والله أعلم.

أسباب نزولها:

نزلت سورة «المُلْك» - كمُعْظم سورِ القرآن الكريم - متفرِّقة ، وقد تختلف أسباب نزول الآيات في السورة الواحدة ، ومن أسباب النزول في سورة الملك ما روى ابن عباس رضي الله عنها أن المشركين في مكة كانوا يتكلمون عن النبي صلى الله عليه وسلم من وراء ظهره ، ويطلب بعضُهم من بعضٍ أن يُسِرُّوا قولَم حتى لا يسمعهم الرسول عَلَيْه ، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُوا قَوْلُم حتى لا يسمعهم الرسول عَلَيْه ، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُوا قَوْلُم حَتَى لا يسمعهم الرسول عَلَيْه ، فنزل فيهم قوله نعالى هو الذي خلق الإنسان ، ويعلم سِرَّه و جَهْرَه ، ويعلم ما في قلبِه ، فالله تعالى هو الذي خلق الإنسان ، ويعلم سِرَّه و جَهْرَه ، ويعلم ما في قلبِه ،

فلا يُمْكن لأيِّ شخص أن يُخَبِّئَ عن الله تعالى شيئًا، أو يكون مُزدوِجًا بشخصيته عند تعامله مع الله عز وجل.

فضلها:

ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في فضل سورة الملك:

١ - كان ﷺ لا ينام حتى يقرأ: «ألم، تنزيل» السجدة، و «تبارك الذي بيده الملك». رواه الترمذي.

٢ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ سورةً من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شَفَعَتْ لرجل حتى غُفِرَ له، تبارك الذي بيده الملك».
 رواه البخاري.

٣ - عن أبي هريرة عن النبي عَلَيْكُ قال: «سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يُغْفَرَ له، تبارك الذي بيده الملك». رواه أبو داود.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «سورةٌ من القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة، تبارك الذي بيده الملك». رواه أصحاب السنن الأربعة.

٥ - قال عليه الصلاة والسلام منبِّهًا إلى فضل هذه السورة: «ودِدْتُ أن تبارك الذي بيده الملك في قلب كلِّ مؤمن». رواه الحاكم.

٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي عَلَيْكَة: «سورة الملك من قرأها في ليلةٍ فقد أكثر وأَطْيَبَ». رواه الحاكم.

٧ - وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قرأها في ليلةٍ لم يضره الفتَّان»، أي: الشيطان. أخرجه البيهقي.

معاني الكلمات:

١ - تَبُرُكُ: تعالى وتَمَجَّدَ ذو
 الخيراتِ المتكاثِرة.

۱ - اَلْمُلْكُ: الكَوْن، مُلْكًا، وتَصرُّ فًا، وتَدبرًا.

٢ - خَلَقُ ٱلْمُؤْتَ: أَوْجِدَ الموت،
 وقَدَّرهُ أَزَلًا.

٢ - لِيَبْلُوكُمُ : ليَخْتركم.

٢ - أَحْسَنُ عَهَلًا: أَضُوبُهُ وأَخْلَصُهُ.

٢- ٱلْعَرْرُ ٱلْغَفُورُ: العزيز: العالِبُ
 على ما يريده، الغفور: العظيمُ
 المغفرة للتّاتين.

٣- سَمَوَتٍ طِبَاقًا: كلَّ سماءٍ فوقَ
 الأُخرى، أي: طبقةً فوقَ طبقةٍ.

٣- تَفَكُونٍ: اختلاف وعدم تَناسُب.

٣- فَأُرْجِعِ ٱلْبَصَرُ: أعد النظر.

٣- فُطُورٍ: شُقوق أو تَصدُّع وخَلَل.

٤ - كَرَّئَيْنِ: مرة بعد مرة.

٤ - خَاسِئًا: صاغراً ذليلا مُتعباً.

٤ - حَسِيرٌ : مِن الحَسْرة، أي: من
 كَثرة المُراجَعة والمُعاودة.

٥ - زُيُّنَّا: من الزينة.

٥- بِمُصَلِبِيحَ: نجوم مضيئة (تبعث النور).

٥- رُجُومًا لِلشَّيَطِينِ: ما يُرمى من
 الشهب الحارقة على شياطين الجن
 عند محاولتهم استراق السمع.

٥ - وَأَعْتَدُنَا لَهُمَّ: هيأنا لهم.

٥ - عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ: عذاب النار الشديدة.

٦ - وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ مِرَبِّهِمْ : أي: الذين لَمَ يؤمنوا بالله.

٦ - وَيِثْسُ ٱلْمَصِيرِ أَ : أي: مصير الكافرين
 البائِس إلى جهنم لا تحالةً.

٧- إِذَا ٱلْقُواْفِيها: إذا رُمُوا - من
 قبل الملائكة - في جهنم،
 وذلك يوم القيامة.

٧- شَهِيقًا: صوتًا مُنكَرًا كصوت الحَمير إذا نَهَقتْ.

سِنُوزَةُ المِثْلِثُ الْخَالِثُ الْمُؤْرِدُ الْمُعْلِدُ الْمُحْمِدُ النَّهُ الْمُؤْرِدُ النَّهُ الْمُؤْرِدُ النَّهُ النَّلُولُ النَّهُ النَّلُولُ النَّلُولُ النَّلُ النَّلُ النَّلُ النَّلُ النَّلُ الْمُعْلِمُ النَّلُ النَّلُ النَّلُ النَّلُ النَّلُ الْمُعْلِمُ النَّلُ النَّلُ النَّلُ النَّلُ النَّلُ النَّلُ النَّلُ الْمُعْلِمُ النَّلُ الْمُنْ النَّلُ الْمُنْ النَّلُ الْمُنْ الْمُلْمُ الْمُنْ الْمُنَالِي الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنَ

بَهُورِكَ ٱلَّذِي بِيكِهِ ٱلْمُلُكُ وَهُو عَلَىٰ كُلِ شَيْءٍ قَلِيرٌ ﴿ اللَّهِ عَلَىٰ كُلُ اللَّهِ عَلَا اللَّهِ عَلَا اللَّهِ الْمَوْتَ وَالْحَيْوَةُ لِيَبْلُوكُمْ أَيْكُمُ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُو الْعَزِيرُ الْعَفُورُ ۞ اللَّذِي خَلْقَ سَبْعَ سَمَوَتٍ طِلْمَاقًا مَّا ترَىٰ فِ فَلُورٍ ۖ فَهُو الْعَزِيرُ الْعَفُورُ فِي خَلْقَ الرّحَمُنِ مِن فَطُورٍ ۚ فَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرّحَمُنِ مِن فَطُورٍ ۗ فَا تَرَىٰ فِي خَلْقَ الْمَصَرُ كَرَافِينَ وَفَلَو لِ ﴾ فَلَقَلِبْ إِلَيْكَ الْمِصَرُ حَاسِتًا وَهُو حَسِيرٌ ﴿ وَالْعَدْ زَيْنَا السّمَاءَ اللَّهُ عَذَابُ مِعَلِيقٍ وَاعْتَدُنَا هُمُ عَذَابُ السّمَاءَ السّعَيرِ ۞ وَلِلّذِينَ كَفَرُوا بِرَجِهِمْ عَذَابُ جَهَنَمُ وَلِقُسُ الْمُصِيرُ السّعِيرِ ۞ وَلِلّذِينَ كَفَرُوا بِرَجِهِمْ عَذَابُ جَهَنَمُ وَلِقُسُ الْمُصِيرُ السّعِيرِ ۞ وَلِلّذِينَ كَفَرُوا لِمِيمِمْ عَذَابُ جَهَنَمُ وَلَا اللّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ السّعِيرِ ۞ وَلَلْوا لَوْ كُنَا سَمْعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَا فِي أَسْتُمُ اللّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ السّعِيرِ ۞ فَالْوا لُو كُنَا سَمْعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَا فِي أَصَعَلِ السّعِيرِ ۞ فَالْوا لُو كُنَا سَمْعُ أَوْ نَعْقِلُ مَاكُنَا فِي أَسْعَيرِ ۞ فَالْمَالُولُ اللّهُ مُن شَيْعٍ إِنْ السّعِيرِ ۞ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْهِمْ فَسُحْقًا لِأَصَّامِ اللّهُ مَن سَيْعِ إِنْ السّعِيرِ ۞ فَالْمَا لِمَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مَن اللّهُ مِن اللّهُ عَلَى السّعِيرِ ۞ فَالْمُؤُوا بِذَنْهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السّعِيرِ ۞ فَالْمَعْرِ ۞ فَالْمُؤْلُ الْمَالِمُ اللّهُ مُنْ السَّعِيرِ ۞ فَالْمُؤْلُولُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشُوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١

نفْسيِّ باطل. ١٠ - نَعْقِلُ: نُعْمِل عُقولَنا.

 ١٠ - لِأَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ: أهل النار ولَهيب جهنم الشديد.

 ١١ - فَسُحُقًا: فَبُعْدًا من الرحمة والكرامة.

١٢ - اللّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَهُم مِالْغَيْبِ: الذين يخافون الله فيصليعُونَه ولا يعطمونه حتى وهم غائبون عن أعين الناس. عائبون عن أعين الناس. ١٢ - وَآجُرُّكِيرٌ *: ثواب عظيم، وهو دخو لُ الجنة.

٧- تَفُورُ: تغلي بهم غَلَيانَ القِدرِ بها فيها.

٨ = تَكَادُ تَمَيِّرُ : تكاد تتقطَّع وتَنْشَقُّ.

٨- ٱلْفَيْظِ : شدة الغضب على
 الكفَّار، وغَضَبُها من غضب
 الربِّ سبحانه.

٨_ فَوَجٌّ: جماعة.

٨- خَزَنَهُما : الملائكة اللُوكَلون
 بالنار وعذابها، وعَدَدُهم تسعةَ
 عشرَ، وهم (الزَّبانِية).
 ٨- نَدِيرٌ : رسول يُنْذِركُم عذابَ

٨- يلير. رسول يبدر كم عداب الله ويدعوكم للطاعة. ٩ - ضَلَّلِ: خطأ عقليٍّ، وتَصَوُّر



من هداية الآيات

الآية: ١ - تقريرُ أنَّ الكون مُلْكٌ لله وحدَه من خلال عرض دلائلِ (رُبُوبِيَّتُه تعالى) القدرة والعلم والحكمة والخير والبركة، وهي مُوجِبَةٌ لأُلُوهِيَّتِه، أي: عبادتِه وحده دون سواه عز وجل.

الآية: ٢ - بَيَّنَ اللهُ تعالى الحكمةَ من خلق الحياة والموت، وخلالهما امتحانٌ للعبد من خِلال أعمالِه وأقوالِه؛ فيرى اللهُ مَن أحسنَ عملًا ومن أساءً، وقد رَتَّبَ سبحانه الجزاءَ على ذلك، (والله تعالى يعلم ما يعملُ الخلقُ قبل أن يخلقهم، وإنَّما أحياهم وأماتهم: لِيُقيمَ الحُجَّةَ عليهم).

الآية: ٢- هذه الحياةُ الدنيا التي نعيشُها هي للامتحانِ بالعمل، والحياة الآخرةُ للجزاء على العمل.

الآية: ٢ - الموت ليس عَدَمًا، ولا فَناءً صِرْفًا، وإنها هو انقطاعُ تَعَلُّقِ الروحِ بالبدن، ومفارَقَتُه، وتبديلُ حالٍ، وانتقالٌ من دار الدنيا إلى دار الحساب.

الآية: ٢- خلقَ اللهُ الحياةَ التي نحياها - بِكُلِّ ما فيها - لِّدَّة محدودة لنعملَ، لنذكُرَ ونشكر، فمَنْ ذكر وشكر وأحسن العمل وأخلص لله تعالى وأدَّاهُ كها شَرَعَهُ الله فجزاؤُه هو الجنةُ خالدًا فيها كها وَعَدَ الله سبحانه.

الآية: ٢ - إن مَنْ كفر بالله وأساء العملَ فلمْ يُخْلِصْ فيه لله - أَعَدَّ الله له نارًا ينقُلُه إليها يوم القيامة.

الآية: ٢- اللهُ يغفِرُ ذنوبَ عبادِه التَّائِين (بشرطِ صِحَّةِ التوبة)، ولو كانت تلك الذنوبُ مثلَ الجبال.

الآية: ٣- لقد خلق اللهُ سبعَ ساواتٍ مُتَطابِقَةً بعضُها فوقَ بعض، ولا يرى الإنسانُ منها إلا السياءَ الدنيا.

الآية: ٣-٤ ـ يستحيل إيجادُ اختلافٍ أو تَضادِّ أو تَبايُنٍ في السهاء الدنيا التي تشاهدها فوقَك، بل لا تَجِدُ إلا الاتِّساقَ والانتظامَ بلا تَصَدُّع.

الآية: ٥- إن الأَجْرامَ والشُّهُبَ التي نراها أحيانًا في السماء ما هي إلا رُجُومٌ لشياطين الجن الذين يريدون اسْتِراقَ السمع من كلام الملائكة، (وكانوا قبل بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يَسْتَرقون السمع فيفتنون الناس في الأرض).

الآية: ٥- أعَدَّ اللهُ سبحانه للشياطين الذين يُوَسْوِسُون ويُؤْذُونَ الناسَ عذابًا شديدًا في جهنَّم يُعَذَّبون به بعد الحساب كسائر الكافرين من الإنس والجن؛ جزاءً على أفعالهم.

الآية: ٥- خلق الله تعالى النجومَ زينةً للسماء (بأنوارها)، وعلاماتٍ ليُهْتَدَى بها، ورجومًا للشياطين.

الآية: ٦- حَتْمِيَّة البعث بعد الموت، والحساب والجزاء؛ حيث يبيِّن الله تعالى ما يجري فيها، فإمَّا الجنةُ وإما النارُ. الآية: ٩- بيانُ أنَّ تكذيبَ الرُّسُلِ هو كفرٌ مُوجِبٌ للعذاب، وكذلك الحال في تكذيب العلماءِ الثُّقاتِ الذين ينقلون تعاليمَ الرُّسل بدِقَّه وأمانة وإخلاص.

الآية: ٩ - ما يُقوله أَهَلُ النارِ في اعترافهم هو نفسه ما يقوله المَلَاحِدَةُ اليومَ في رَدِّهم على العلماء، بأنَّ التَّدَيُّنَ كِذْبةٌ كُثري وتَأَخُّرٌ عقليٌّ ونَظرٌ رَجْعِيٌّ.

الآية: ١٠-١١- تقرير أن الكافرَ لا يريد أن يسمع سماعًا ينفعُه، ولا أن يَعقِل ويتفكَّر لينجو من المهالك في الآخرة، وسيندمُ على ذلك في ساعة لا يفيد فيها الندمُ.

الآية: ١٢ ـ إن الإيهانَ بالغيب ومراقبةَ الله تعالى في الأقوال والأفعال وفي السر والعَلَنِ كلُّها مُوجِبَاتٌ لمحبة الله للعبد وحُسْن الجزاء يوم الحساب.



معاني الكلمات:

١٣ - رَأَيْرُواْ فَوْلَكُمْ: أي لو جعلتم قولكم سِرَّا، والسَّرُ: ما أُخْفِي.
١٣ - اَجْهَرُواْهِ: تَكلَّموا بصوت مسموع.
١٣ - يذات الشُّدُود: ما تُكِنَّه صدورُ كم
من حديث النفس والخواطر.

١٤ - اللّطِيفُ الْخَيْرُ: الذي يَلْطُف حين
 تجري المقادير، وهو الخبير بخلقه

٥٥ - الْأَرْضَ ذَلُولًا: مُذَلَّلَةً لَيِّنَةً سهلةً تستقرُّون وتمشون عليها وتَزْرعونها وتَعْمُرونَهَا.

١٥ - مَنَاكِبِهَا: جوانبها، أو طُرُّقِها ونواحيها.

١٥ - وَكُلُواْمِن رِّزْقِهِم: كُلوا مِن خَيراتِه التي خلقها لكم وأنعَمَ بها عليكم.

١٥ - وَإِلَيْهِ ٱلنَّشُورُ: إليه تُبْعَثون من القبور للحساب والجزاء.

١٦ - مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ: الله سبحانه وتعالى.

١٦ - يَغْسِفَ بِكُمُّ: يأمرها فَتَنْشَقُّ وتصبحون في جوفها.

١٦ - تَمُورُ : تَتَرَنَّحُ وتضطربُ حتى تعْلُوا عليكم.

١٧ - حَاصِبًا: رِيحًا من السهاء فيها حصى فتُهْ لِكَم.

١٧ - كَيْفَ نَذِيرِ : كيف قُدْرتي على العقاب والعذاب.

١٨ - ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمَ : الأقوام الذين
 من قبلهم، كقوم عاد وثمود
 وغيرهم.

۱۸ - فَكَثَنَكَانَ نَكِيرِ: كيف كان إنكارُ الله تعالى عليهم الكُفرَ والتكذيب.

١٩ - مَنَفَّتِ: باسطاتٍ أَجْنحتَها في الجوَّعند الطيران.

١٩ - وَيَقْمِضْنَ: يَضْمُمْنَ أَجْنحَتَهُنَّ إِلَى جُنوبِينَّ.

١٩ - مَايُمْسَكُمُّهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحَنُّ: ما يَخفَظُهُنَّ في حالتي البَسْط
 والقبض إلا الله تعالى.

٢٠ - أُمِّنُ هَلْاً: أَمْ مَنْ هذا؟.

٢٠ - جُندُ لَكُونُ : أَعوانٌ لكم.

٢ - مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ: مَنْ غيرُه تعالى
 يدفع عنكم عذاب الله؟.

٢٠ ـ غُرُورٍ : خَديعة من الشيطان وأتباعه
 (بأنه لاعذابَ سينزل بهم).

٢١ - أَمْسَكَ رِزْقَهُم: قَطَع عنكم الأَقْواتَ والأمطار وغيرها.

٢١ - لَجُواُ: تمادوا في التكبر والتباعد عن الحق.

٢١ - عُتُوِّ: إسْتكبار وعِناد.

٢١ - وَنُفُورٍ: بُعْدٍ عن الحق.

٢٢ - مُرِكِّاً عَلَى وَجُهِدٍ: ناظِرًا إلى الأرض، لا يَأْمَن مِنْ أَنْ يَتعَثَّر (وهذا مثال الضالُ عن الصراط المستقيم).

٢٢ - سَوِيًّا: مُسْتَوِيًا مُنتَصِبًا ينظر أمامَه
 (وهذا مثال المُوَحِّدُ المُهتَدِي).

٢٢ - صِرَطِ مُسْتَقيم: الطريق السَّويّ.

٢٣ - وَٱلْأَفْئِدَةَ: الْقُلوب.

٢٤ - ذَرَأَكُمُّ: خَلَقكم وَبَثَكُمْ في الأرض.

٢٤ - تُحْشَرُونَ: تُجْمَعون يومَ الحَشْرِ فيحاسبكم ويجزيكم بأعمالكم.

٢٥ ــ ٱلْوَعْدُ: الذي تَعِدُونَنَا به، وهو يومُ القيامة.

 ٢٦ - ٱلْعِلْمُ عِنداً اللهِ: وقت يوم القيامة لا علمه إلا الله.

٢٦ - نَدِيرٌ مُشِينٌ : مُنْذِرٌ لكم من عذاب يوم القيامة ، ومُبيَّنٌ لكم الطريق المستقيم .



من هداية الآيات

الآية: ١٣-١٤ تقرير أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما ينوي العبادُ أو يقولون أو يفعلون سِرًّا كان ذلك أو علانية.

الآية: ١٥ - مشروعية السَّيْر في الأرض لطلب الرزق في زراعة أو تجارة أو صناعة، ومن ذلك القيامُ بالخدمات الحَسنة التي تُعينُ المخلوقاتِ في الأرض.

الآية: ١٦-١٧ - تحذير المُعْرِضِينَ عن الله، وإنذارُهم بسوء العواقب في الدنيا - إن استمرُّوا على إعراضهم -؛ فإن الله قادرٌ على أن يخسِف بهم الأرض كها نشاهدُ ذلك عِيانًا في أماكن كثيرة، وهو سبحانه قادرٌ على أن يرسل عليهم عواصف وأمطارًا وأَوْبِئَةً من السهاء، ولا يوجد ما يُجيرُهم من ذلك بأيِّ حال من الأحوال إلا بإيهانهم وإسلامهم لله عز وجل.

الآية: ١٦-١٧- الله تعالى له حكمةً في إنْزال المصائب والوَيْلات بالشُّعوب، وهو عادلٌ حكيم، خبيرٌ بتَصرُّ فات عباده، وقد يُؤْخَذُ بعضُ المُوَجِّدِين والمُحْسِنِين بجَريرَةِ المُسِيئين؛ وذلك لحكمة لا يعلمها إلا الله سبحانه، لكن يوم القيامة يُجْزى كلِّ حسب عمله.

الآية: ١٨ - أن في الهالكين الأوَّلين - من الأُمَم السابقةِ المذكورةِ في القرآن الكريم وفي الكتب السهاوية السابقة وكتب التاريخ - عِبَرًا وعِظاتٍ لَمِنْ له قلبٌ حيٌّ وعقلٌ رشيدٌ.

الآية: ١٩ - من آيات الله الدَّالَّةِ على قدرته وعلمه ورحمته والمُوجِبَةِ لعبادته - طيرانُ الطيرِ في السهاء وهو يبسُط جناحَيه ويقبضهما ولا يسقط؛ إذ المُفْتَرَضُ أن يستمرَّ يَخِفُّ بجناحَيهِ يدفع نفسه فيطيرُ بمُساعدة الهواء، أما إذا قبضهما أو بسطهما فالمُفْتَرَضُ أن يسقط، ولكن الرحمن عز وجل يمسكه في الهواء.

الآية: ٢٠ - تقرير حقيقة، وهي أنَّ الكافر يعيش في غرور كامل في الدنيا؛ فهو يحسَبُ أنه لا حسابَ ولا عِقابَ، ويَنْقادُ لوسوسة شياطين الإنس والجن، فيرفُضُ دعوةَ الحق.

الآية: ٢١ - تقرير أن الأرزاقَ والأقْواتَ من عند الله وَحْدَهُ، وما يفعله الإنسانُ هو أَخْذُ بالأسباب فقط، أمَّا النجاحُ أو الفشلُ فهُمَا تحتَ مشيئةِ الله عزَّ وجل.

الآية: ٢٢ ـ تقرير إِنْجِرافُ الكافرِ عن الحقِّ وَضلالُهُ، واستقامةُ المؤمنِ (المسلم) واهْتِداؤُهُ (إذا عمل بيا آمن).

الآية: ٢٣- تقرير أنَّ الإنسانَ قليلُ الشُّكْرِ لله على نعمه، إمَّا جُحُودًا - والعياذ بالله - وهو الكافرُ، وإمَّا نِسيانًا وهو المسلمُ الغافل، فيجب الانتباهُ لذلك والاستغفارُ والشكرُ دائمًا على النَّعَم التي لا تُعَدُّ ولا تُخْصى، ويكون ذلك الشكر بالإيهان والطاعة والعمل.

الآية: ٢٤ - بيان حَتْمِيَّة البعثِ والحشر والحساب بعد قيام الساعة، وهي من الأمور الغيبية. الآية: ٢٦ - وتقرير أن وقت يوم القيامة لا يعلمه أحدٌ إلا الله وحده سبحانه.



فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيْعَتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَذَا ٱلَّذِي كَنُتُمُ بِهِ، تَدَّعُونَ آلِهَ أُونَ أَلَّذِي كَنُتُمُ بِهِ، تَدَّعُونَ آلِهَ أُونَ أَلْلَا أَنَ أَلْلَا أَلَى اللَّهُ وَمَن مَعِي اللَّهُ عَنَا فِمَن يُجِيرُ ٱلْكَفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمِ آلِهُ قُلْ هُو اللَّحْمَنُ ءَامَنَا بِهِ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُو فِي ضَلَالٍ مُّبِينِ الرَّحْمَنُ ءَامَنَا بِهِ، وَعَلَيْهِ تَوكَلُنا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُو فِي ضَلَالٍ مُّبِينِ الرَّ قُلْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَ

معانى الكلمات:

٢٧ - رَأَوْهُ زُلْفَةً : رأوا العذابَ قريبًا منهم (يوم القيامة).

٧٧ - سِيِّئَتْ وُجُوهُ : أصابت وُجوهَهُم الكاَّبةُ والسوادُ غمًّا وذُلًّا.

٢٧ - بِدِء تَدَّعُونَ : تَطْلبون أَنْ يُعَجَّل لكم (استهزاءً).

٢٨ - قُلْ أَرَءَيْتُكُمْ : قل يا محمد لهم: أَخْبروني، أو أَرُوني.

٢٨ - أَهْلَكُنِي ٱللَّهُ: أماتني اللهُ الذي خلقني.

٢٨ - وَمَن مَّعِيَ : أي: من المؤمنين.

٢٨ - يُحِيرُ: يَخْفَظُ ويَقِي الكافرين العذابَ.

٣٠ - غَوْرًا: غائِرًا ذاهِبًا في الأرض لا يُنالُ ولا يُرَى.

٠٣- مَّعِينٍ: جارٍ عذب تراه العيونُ، ظاهرٍ سهلِ التَّناوُل.



الآية ٢٧ - يجب عدم التقليل من عذاب الآخرة أو استصغار نتيجة المعاصي ولو كانت صغيرة.

الآية ٢٨ - أن الأنبياء هم من البشر يحيون ويموتون ولا يعلمون الغيب إلا ما يطلعهم الله عليه عن طريق الوحي.

الآية: ٢٩ - وجوب التَّوكُّل على الله عزَّ وجل وَحْدَهُ دائمًا، والأخذُ بالأسباب المشروعة.

الآية: ٢٨-٢٩-٣٠ مَشْرُ وعِيَّةُ - بلْ وضرورةُ - النِّقاش العلمي بالحُجَجِ والبراهين لبيان الحقِّ وإِجْقاقِهِ، والنهي عن الباطل وإِبْطالِهِ.



التفسير الموضوعي لسورة الملك

(من كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي رحمه الله)

الدنيا دارٌ لها ما بعدَها، والتَّدَيُّنُ الفاسدُ يستقبل هذه الحقيقةَ بالنُّواحِ(١) والتشاؤم، لا بالعمل الجَادِّ والاستعدادِ للخُلود الدائم.

إِنَّ تَحديدَ الموقفِ من الآخرةِ لا بُدَّ منه في مواجهة الحضارة المعاصرة، وهـذا التحديد لله يفرِضُ علينا أنْ ندرسَ الحياة، وأنْ نعرِف الحكمة من الوجود المَوقُوتِ(٢) بها.

إن العقلَ البَلِيدَ^(٣) الذي لا يدرُسُ الحياةَ ولا يَستعِدُّ لما بعدها ليس هو العقلَ المؤمنَ.

وسورةُ الملك تُنبَّهُ إلى هذا في كلمات واعيةٍ ﴿ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوْةَ لِبَلُوكُمُ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ اللهُ اللّهُ الل

والحزنُ أن العقلَ الإسلاميَّ الآن جَهُولٌ (٤) بالكون، تائةٌ عن قوانينه، ضعيفُ الخِبرةِ بها والقدرةِ على استغلالها.

١ - النواح: هو البكاء مع الصياح.

٢ - الموقوت: أي المحدد لها.

٣- البليد: ضعيف الذكاء، قليل النشاط.

٤ - جهول: شديد الجهل.

وهناك شيءٌ آخرُ انْضَمَّ إلى هذا العجز: شَراهَةُ (١) في طَلبِ المَلَذَّاتِ، والعُكوفُ (١) عليها، مع السَّماعِ إلى أَغانِ تقول له: الدنيا ضحكٌ ولعبٌ وعِشْ أيامَكَ عِشْ لياليك.

اليوم الفائت لن يعود أبدًا، لماذا تَضْيِيعُهُ ؟! وهكذا تجمَّعتْ على المسلمين كلَّ الهزائم الماديَّةِ والرُّوحيَّةِ ؛ فلا عَجَبَ إذا هُدِّدُوا بمصير الكفَّار المسلمين كلُّ الهزائم الماديَّةِ والرُّوحيَّةِ ؛ فلا عَجَبَ إذا هُدِّدُوا بمصير الكفَّا الذين إذا رُمُوا في جهنم ﴿سَأَلُهُمُ خَزَنَهُمَ أَلَمْ يَأْتِكُو نَذِيرٌ ﴿ فَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ الملك / ٨-٩، ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسَمُعُ أَوْ نَعْقِلُ مَاكُنًا فَي أَصَّكِ السَّعِيرِ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ الملك / ٨-٩، ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسَمُعُ أَوْ نَعْقِلُ مَاكُنًا فِي أَصَّكِ السَّعِيرِ اللَّهُ الله الله / ١٠.

المَفْروضُ أَنَّ العقلَ المؤمنَ أَخْبَرُ بالحياة وأَذْكَى في الكون من العقلِ المُلْحِدِ(")؛ لأنَّ الإيهانَ بالله يقوم في الإسلام على تَأَمُّل في الكون ووَعْي بآيات الله في آفاقه! إنه لَشَيءٌ يُثيرُ الحزنَ والقلقَ أَنْ نَجِدَ المُسلمين في مُؤَخِّرة القافلة البشرية.

قد يكون الإيمانُ بالله من الغُيُوب (٤) التي يَعملُ فيها العقلُ عملَه!، ولكن أثرَ هذا الغيبِ في النفس أقوى من الحواسِّ كلِّها؛ لأنَّ المرْءَ قد يُضحِّي بروحه استجابةً لهذا الغيب، وقد يترك أشهى الملذَّاتِ استجابةً لوَحْيه (٥)؛ ولذلك قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَعْفِرَةٌ وَأَجُرٌ كَبِيرٌ (١١) الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَعْفِرَةٌ وَأَجُرٌ كَبِيرٌ (١١) الله سبحانه:

١ - شراهة: شدة الحرص.

٢ - العكوف: الدوام والمواظبة.

٣- الملحد: من لا يؤمن بوجود الله (كافر).

٤ - الغيوب: جمع غيب، وهو كل ما غاب عن الإنسان (من مشاهدة).

٥ - وحيه: المراد هنا القرآن.

والآية الأولى في هذه السورة ﴿ بَنَرُكَ الَّذِي بِيدِهِ الْمُلْكُ ﴾ الملك / ١. تُشِير إلى أن الله بيده اللك أن وقد صَرَّحت آياتُ أُخْرى أنه بيده الفَصلُ (٢)، وبيده الخيرُ، وأن الأرضَ جميعًا قَبْضَتُهُ (٣)، وأن السهاواتِ مَطْوِيَّاتٌ بيمينه (٤)... (كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه) إن اسْتِمْكَانَهُ (٥) من مُلْكِهِ - جلَّ شأنُه - لا نظيرَ له، ويستحيل أنْ يقومَ له مُعترِضٌ.

ولذلك يقول للكافرين: ﴿ اَمِنهُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَغْمِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِي تَمُورُ ﴿ اَ أَمَ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمُ مَاصِبًا فَسَتَعَامَوُن كَيْفَ نَذِيرِ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ الله وعظمتَه]، فإنَّ الله و وإنْ كان مُستويًا على عرشه - فعِلْمُه وسَمعُه وبصرُه وقيامُه على كلِّ نفس، وتدبيرُه مُستويًا على عرشه - فعِلْمُه وسَمعُه وبصرُه وقيامُه على كلِّ نفس، وتدبيرُه للكلِّ أمر، ولإمساكِهِ للكلِّ ذرةٍ فِي السهاوات والأرض فهو جلَّ شائنُهُ للكلِّ أمر، ولإمساكِهِ للكلِّ ذرةٍ فِي السهاوات والأرض فهو جلَّ شائنُهُ

١ - فجاج: جمع فج، وهو الطريق الواسع بين جبلين.

٢ - الفضل: القول والفعل الحق القاطع.

٣- قبضته: أي: في ملكه وتحت سلطانه وقدرته.

٤ - مطويات بيمينه: أي يطوى الله سبحانه بقدرته الساوات كما تطوى الصحيفة.

٥ - استمكانه: تمكنه وقدرته.

لا يغيب عنه شيء ولذك يقول سبحانه: ﴿ وَلِلّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْغَرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُواْ فَثَمَّ وَجَهُ ٱللّهِ إِنَ ٱللّهَ وَاسِعُ عَلِيهُ ﴿ البقرة / ١١٥، ويقول أيضًا: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَجُوى ثَلَاثَةٍ إِلّا هُو رَابِعُهُمْ وَلَا خَسَةٍ إِلّا هُو سَادِسُهُمْ وَلَا أَدُنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكُمْرُ إِلّا هُو مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ﴾ المجادلة / ٧، ويقول: ﴿ وَهُو مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ﴾ المجادلة / ٧، ويقول: ﴿ وَهُو مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ﴾ المجادلة / ٧، ويقول: ﴿ وَهُو مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنُتُمْ ﴾ الحديد / ٤.

إِنَّ شُهودَ الله علينا لا شكَّ فيه، مِنَ التَّطَاوُلِ(۱) البحثُ في كُنْهِ(۱) هـذا الشهود؛ إننا لا نعرِفُ كيف يُحوِّلُ اللهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ التَّعَيْمِها إلى عيون وآذانٍ، فكيف نعرفُ كُنْهَ ذاتِهِ وقُرْبِهِ؟ إِن اللهَ أقربُ إلينا من أنفسنا، ولكنَّا أَعجزُ من أَنْ نُبْصِر!! وحَسْبُنا - إذا عَلِمْنا ذلك - أَنْ نَسْتَنصِرَ(۱) به، ونَسْتَرَزِقَهُ (۱)، وَنَعُدَّ غيره صِفرًا، كها بيّن لنا في هذه السورة ﴿أَمِّنْ هَذَا اللَّذِي هُوَ جُندُ لَكُمْ مِن دُونِ الرَّمْنَ إِنِ الْكَفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿ أَمَنَ هَذَا اللَّذِي يَرْزُقَكُمُ إِن أَمْسَكَ رِزْقَهُ مِن دُونِ الرَّمْنَ إِنِ الْكَفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿ اللَّهُ اللَّذِي يَرْزُقُكُمُ اللَّهُ اللَّهِ عَنُو وَنَفُورٍ (۱) الله / ٢٠-٢٠.

وتتحدث السورةُ في آخرها عن الكافرين الذين يحاولون نقلَ المعركة إلى الرسول وأتباعه من المؤمنين، فيسألهم: ما جَدْوى ذلك عليكم إذا كنتم أغبياءَ تَعْمُونَ (٥) عن الواقع حتى تصطدموا به؟ هل قُصُورُ الآخرين - كما زَعَمْتُم -

١ - التطاول: الاعتداء على الحقوق.

٢ - كنه: حقيقة.

٣- نستنصر به: نطلب النصرة والعون من الله سبحانه.

٤ - نسترزقه: نطلب الرزق منه سبحانه.

٥- تعمون: من العمي، أي: تغمضون عيونكم.

يشفعُ (١) لكم ويُسَوِّعُ (٢) ضلالكم؟ ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِي ٱللَّهُ وَمَن مَعِي أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمِ (١) قُلْ هُوَ ٱلرَّمْنَنُ ءَامَنَا بِهِ وَعَلَيْهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعَلَمُونَ مَنْ هُو فِي ضَلَالٍ مُّبِينِ (١١) ﴿ اللّه / ٢٧-٢٨.

وتُختَمُ السورةُ بسوال إلى عبيدِ المادة الذين يُنْكِرُون رَجَّا المُسَخِّرَ لها: ﴿ قُلُ أَرَءَ يَنَمُ إِنْ أَصْبَحَ مَا وَكُو عَوْراً فَنَ يَأْتِيكُم بِمَاءِ مَعِينٍ ﴿ الله / ٣٠. حَكُوا أَنَّ الله / ٣٠. حَكُوا أَنَّ الله إلله عِدَةِ سمع هذه الآية، فقال: تأتينا به الفُؤوسُ والمَعَاوِلُ! أي: إن تعميقَ الحَفْرِ في البئر سيُخرِجُ الماءَ حَتُمًا! وشاء الله أن يَغِيضَ (٣) ماءُ عينه فيَعمى! فهل قَدِرَ أحدٌ على رَدِّ بصرِهِ؟ نعوذ بالله من الخذلان.

١ - يشفع: يتوسط لصاحب الأمر.

٢ ـ يسوغ: يبرر.

٣- يغيض: يذهب ويغيب.

من خواطر الدكتور راتب النابلسي فى تفسير سورة الملك ⁽⁾

﴿ بَنَرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلُّكُ ﴾ سورة الملك / ١.

الكون [الأرض والسهاوات والمَجرَّاتُ وما فيهنَّ من مخلوقات] في الأصل مَبْنيُّ على إسعاد الإنسان، مبنيُّ على العطاء؛ فلذلك كانت كلمة «تبارك» تعني أن الله سبحانه وتعالى خيرُهُ كثيرٌ، وعطاؤه بلا حدودٍ، وهو المُعطي الذي لا يُسْأل، وإذا أعطى الإنسانَ أدهشه، وقد خلقنا لِيُسعِدَنا وليدخِلنا الجنة، وما طلب منَّا إلا طاعتَهُ في عمرٍ محدودٍ في هذه الدنيا، ولنا مقابلَ ذلك جنةٌ عَرْضُها السهاوات والأرض إلى أبدِ الآبدين، وطاعتُهُ مُتوافِقةٌ مع الفِطْرة والطبيعة، وهي طاعةٌ مُستطاعة: ﴿ لا يُكلِفُ اللهُ نَفْسًا إلا وُسْعَهَا ﴾ سورة البقرة / ٢٨٦، وطاعتُهُ مُسْعِدَةٌ، وتحفظُ الإنسانَ من كلِّ سوء، وهي مُيسَرةٌ له ضمن استطاعته، وهي السبب في عطاءٍ أبديً.

هناك شيءٌ آخر، وهو أنَّ «الْمُلْكَ» – الكون والجنة والنار والإنسان والحيوان والنبات وما لم يُعْلَم مِن مخلوقات الله – بِيدِ الله، وهذه كلمةٌ لها ما وراءَها؛ فإذا كان المُلكُ بيدِ الله فلا تَخْشَ أحدًا إلا الله، ولا تَرْجُ غيرَه، ولا تَخَفُ سواه، ولا تبذُل ماء وجهك أمام إنسانٍ ضعيفٍ مثلك؛ فهو سبحانه مَلِكُ (ومالِكُ) كلِّ شيءٍ، من أدَقِّ الأشياء إلى أكبرها، ومن أقربها إلى أبعدِها، ومن أخطرِها إلى أجلِها، فكلُّ شيءٍ بيده خَلْقًا وتَصَرُّ فَا ومَصِيرًا؛ فهو الذي خلق، هم ألله خَلِقُ كُلِّ شَيءٍ بيده خَلْقًا وتَصَرُّ فَا ومَصِيرًا؛ فهو الذي خلق، ﴿ اللّه خَلِقُ كُلِّ شَيءٍ بيده فَكُلُ شَيءٍ مورة الزمر / ٢٢، ﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْنُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَلَمِينَ ﴿ اللّهُ سورة الزمر / ٢٢، ﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْنُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُ الْعَلَمِينَ ﴿ اللهُ مُولِ اللهُ مُولِ اللهُ مَلِكُ اللهُ رَبُ الْعَلَمِينَ اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ اللهُ واللهُ اللهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ اللهُ مَنْ اللهُ مَا اللهُ اللهُ مَنْ اللهُ مَا اللهُ اللهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ اللهُولُ اللهُ ا

١- منقول باختصار وتصرُّف.

الأعراف / ٥٤، ﴿ مَا لَهُ مِ مِّن دُونِهِ عِن وَلِيِّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ اَحَدًا اللهُ اللهُ عراف / ٢٦.

لو تعلَّمْنا حقيقة التوحيد لَكُنَّا في حالٍ أخرى غير هذه الحال؛ فالتوحيد شيءٌ وأنْ تؤمنَ بالله خالقًا شيءٌ آخر؛ فالإيهان بالله خالقًا هو حدًّ مُشْترَكُ بين كلِّ الخلائق إلا قِلَّة قليلةً جدًّا عاندتِ الحقَّ وجَحَدَت ما هو واضحٌ كالشهمس، ويوم القيامة تقول: ﴿وَاللّهِرَبِنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿ الله عَنَّ وجل: ﴿ اَنظُرُ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٓ أَنفُسِمٍم وَضَلَ سورة الأنعام / ٢٤، فإيهانُك بالله خالقًا شيءٌ، وإيهانُك به فعَالًا وأن الأمر كلّه وراجعٌ إليه شيءٌ آخر... ﴿وَإِلَيْهِ يُرَجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُهُ وَمَا رَبُك بِعَنفِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ ﴿ الله سواه، ولا ترجو سواه، ولا تتَجِهُ إلى سواه، ولا تَعْقِدُ الأملَ على غيره، ولا تَتَّكِلُ إلا عليه، ولا تَسعَدُ إلا بقُربه.

مِن أَدق الأشياء حركة الإنسان، فهل يَملِكُ أحدُنا حركته؟ فإذا تجمّدت نقطة دم صغيرة مثلًا في أحدِ أوعية الدماغ فقد الإنسان الحركة، فالحركة بيدِ من بيدِ الله عزّ وجل، وحينها يفقد الإنسان حركته يتمنّى موته أقربُ الناس إليه، ويعبّر الناس عن هذا بأدعية كثيرة من مثل: (الله يُخفّف عنه)، وحينها يفقد الإنسان بصرَه أو سمعَه أو عندما يَختلُ عقلُه يتوسّط له أقربُ الناس إليه (أولاده) ليضعوه في دار رعاية المُسِنِين.

فأنت الآنَ عقلُك في رأسك، وترى بعينيك، وتسمع بأذنيك، وتنطق بلسانك، كلُّ هذه الأشياء أنتَ لا تملِكُها، لكنَّ الله يملكها، وأنتَ إنْ غَضَضْتَ عينك عن محارم الله، أو إنْ بَكَتْ عينُك مِن خشية الله، فإنك

ترجو الله سبحانه وتعالى ألا يصيبك بها؛ فعَينُ بكتْ من خشية الله، وعينُ غَضَتْ عن محارم الله، ولسانٌ نطق بذكر الله، وأذنٌ ما استمعت إلا إلى كتاب الله وإلى ما أَمَر، ورِجْلٌ لم تمش إلا لقضاء حاجة الناس أو لطلب الرزق كما أراد الله، ويدٌ لم تُسْتعمَل إلا في العطاء - فهذه الحواسُّ وتلك الأجهزةُ والأعضاءُ إذا وُظِّفتُ في طاعة الله عز وجل فنرجو من الله عزَّ وجل أن يحفظها للمؤمن طِيلةِ حياتِه، وهذا معنى دعاء النبي عليه الصلاة والسلام في ما رواه ابن عمر رضي الله عنها: «اللهمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَا» رواه الترمذي.

أهلُك الذين هم في البيت بيدِ مَن؟ بيد الله عزَّ وجل، إما أن ييسِّر لك قيادَهُم، وإمَّا أن يستعصوا عليك! إما أن يكونوا قُرَّةَ عين، وإما أن يكونوا أحدَ أكبرِ مصائب الدنيا.

قال بعض العلماء: تبارك أي: دام، فهو الأوَّل بلا بداية، والآخِر بلا نهاية، والآخِر بلا نهاية، وهو الأول ولا أول قبله، وهو الآخِر ولا آخِر بعده. فربُّنا سبحانه وتعالى تنزَّه عن كلِّ ما لا يليق به في معاملة النفوس، وعَظُمَ خيرُه وعظمتْ قدرتُه في تدبير الأجسام من أدقِّ الأشياء إلى أكبرِها.

قال الإمام الحسن رضي الله عنه: تبارك أي: تقدَّس، والتقديس هوالتنزيه، والتنزيه هوالتسبيح.. ف (سَبَّحَ الله) أي: نزَّهه عن كل ما لا يليق به، و مَجَده وخضع له.

وبعض علماء التفسير حمل معنى تبارك على التسبيح؛ لقول الله عزَّ وجل: ﴿فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُونَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلْيُهِ تُرْجَعُونَ ﴿ ٢٨ ﴾ سورة يس / ٨٣.

أهذا الإله يُعصى ؟!

أهذا الإله لا يرجى عطاؤُه؟! لا تُرجى جنَّتُه؟! لا تُخشى نارُه؟! أتؤثِر عليه زوجة تطيعها وتعصيه سبحانه؟!! أتؤثر عليه شريكًا تطيعه وتعصيه سبحانه؟!! أتؤثر عليه دراهم معدودات تبيع دينك من أجلها؟!! أتؤثر عليها (الجنة) دنيا محدودة سريعًا ما تنقضي؟!! أتؤثر دنياك على آخرتك؟!!!

﴿ اَلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾، فالمُلْك: للأشياء المادية، والمَلَكُوت: للأشياء النفيسة.

ملَكَ كلَّ شيء، من أدق ذرَّةٍ إلى أكبر مجرة والنظام واحد، فنظامُ الذرَّات يشبه نظامَ المجرَّات، والذراتُ عالمٌ قائمٌ بذاته قال تعالى: ﴿وَكُلُّ فِي الذرَّات يَسْبَحُونَ ﴿ وَكُلُّ فِي اللهِ عَالَمٌ عَالَمٌ عَالَمٌ اللهِ عَالَى: ﴿ وَكُلُّ فِي اللهِ عَالَى اللهِ عَالَمٌ عَالَمٌ عَالَى اللهِ عَالَمُ عَالَى اللهِ عَالَى اللهِ عَالَى اللهِ عَالَى اللهُ عَالَى اللهُ عَالَمُ اللهُ عَالَى اللهُ عَالَى اللهُ عَالَمُ عَالَى اللهُ عَالَمُ اللهُ عَلَى اللهُ عَالَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ عَلَّاكُمُ

كل ذرة فيها كَهارِبُ (ألكترونات) تسبَحُ حولَ النواة بنظام مُدهش وبِسرعاتٍ خيالية، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَا وَأُنُّ سورة فاطر/٢٨، وربنا عنَّ وجل يقول: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبَضَتُهُ, يَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِ وَٱلسَّمَوكَ مُطُويِتَكُ بِيَمِينِهِ وَ سُبْحَنَهُ, وَتَعَكَلَى عَمَّا فَيْرُكُونَ اللهِ سورة الزمر/٢٧، وفي أنفسكم أفلا تبصرون؟

﴿ وَهُو عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠ ﴾ سورة الملك / ١.

أي: يُعِزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء، يحيي ويميت، يُغني ويُفقِر، يعطي ويمنع، فأنت تريدُ الحياة، تريدُ العِزَّ، تريد الغِني، تريد الأمن والطمأنينة،

وهذا كلَّه بيدِ الله. لا تبحث عن سعادة بعيدًا عن منهج الله، لن تصل إليها؛ لأن الله سبحانه و تعالى يقول: ﴿ أَلَا بِنِكِ اللّهِ تَطَمَعُنَّ الْقُلُوبُ ﴿ اللّهِ مَعِنَا اللّهِ مَعِنَا اللّهِ مَعِنَا اللّهِ مَعِنَا اللّهِ مَعِنَا اللهِ مَعَا فِي اللّهِ عَن فِكُومَ اللهِ عَن فِكُومَ اللّهِ عَن فِكُومَ اللّهِ عَن فِكُومَ اللّهِ عَن فِي اللّهِ اللّهِ اللهِ ا

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيُوةَ ﴾ سورة الملك/ ٢.

فهو الذي خلق الموتَ، فنحنُ نحيا لنموتَ ونموتُ لنحيا، نحيا في الدنيا، والموت مصيرُ كلِّ إنسان، كلُّ مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العِزَّة والجَبَروت، فالليلُ مهما طال فلا بدَّ من طُلوع الفجر، والعمرُ مهما طال فلا بدَّ من نزول القبر.

مَن هو العاقل؟ العاقل هو الذي يُعِدُّ لهذه الساعة عُدَّتَها، فلا بدَّ لك من يوم تخرج فيه من بيتك ولا تعود إليه إطلاقًا، تخرج. لكنْ ليس على قدميك، ستخرج محمولًا، ولا أحدُّ مستثنى من هذا الحكم أبدًا، فهذه الساعة التي لا ريب فيها ولا بدَّ منها، مَن يُعِدُّ لها؟ أُعِدُّوا لهذه الساعة العملَ الصالح وطاعة الله والإكثارَ من ذكر الله.

لماذا قدَّم الله عز وجل الموتَ على الحياة ؟

١ - قال بعض العلماء: ربُّنا جلَّ جلاله قدَّم الموتَ على الحياة لأن الموتَ مِن أوضح مظاهر القهر، فسبحان من قهر عبادَه بالموت، فالإنسان يكبر ويكبر، ولكن لا بدَّ من ساعةٍ يغادر فيها الدنيا، مَظهرُ القهرِ في الموت أشَدُّ، والموت قد يكون في بعض الأحوال سترًا للإنسان ونعمةً له، لكن

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي يرويه أنس بن مالك كان: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي». صحيح أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي». صحيح البخاري، فالإنسان يفوِّض أمرَه إلى الله، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ». رواه الترمذي.

٢ – وقد قدَّم الموت على الحياة لأن الإنسان إذا عاش فسيكون أمامَه خياراتٌ كثيرة، أما حينها يموت فإنه كها يقول عليه الصلاة والسلام: «فَوَالدِي نَفْسُ مُحمدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الدُّنيا مِنْ دَارٍ إِلَّا الجَنَّةُ أُو النَّارُ». الجامع الصغير عن حزة بن حران. صار لديه خيارٌ صعبٌ، إمَّا نجاةٌ وإما هلاكُ، هذا المعنى الثاني.

٣ - المعنى الثالث: ورد في الأثر الشريف: «إنَّ الله تعالى أَذَلَّ بَنِي آدَمَ بِلَمُ وَتِ، وجعلَ الآخِرةَ دارَ جَزاءٍ ثُمَّ دارَ بقاءٍ». رواه معمر عن قتادة. حياة وموت، جزاء وبقاء؛ لذلك قال العلماء: اعملُ لدُنياكَ بقَدْرِ بقائِكَ فيها، واعملُ لآخِرتِكَ بقَدرِ مُقامِكَ فِيها.

ما هو الموت؟

الموتُ ليسَ عَدَمًا مُطلقًا، وليس عدمًا نسبيًّا، بل هو انفصالُ الجسمِ عن النفس وعن الرُّوحِ، والإنسانُ جِسمُهُ وِعاءٌ لَه، ونَفْسُه هي ذاتُه، وفيه قوة مُحرِّكةٌ هي الروحُ، فالنَّفْسُ تذُوقُ الموت، أي: تَخْلعُ عنها هذا الوعاءَ الذي كانت بداخِلِه، فالموتُ ليس عدمًا، لكنْ انتقالُ مِن حالٍ إلى حال، والدليل: الشهيد المُضرَّجُ بدِمائِه، ماذا يقول الله عنه؟ ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَ ٱلَّذِينَ وَالدليل: الشهيد المُضرَّجُ بدِمائِه، ماذا يقول الله عنه؟ ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَ ٱلَّذِينَ وَلِيلَا فِي سَيِيلِ ٱللهِ أَمُونَ أَل اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ وأَعُونَ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَلَى اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ وَاصَحَابُهُ الكرامُ على وحينا انتها فقال: على النبيُ عَلَيْهُ وأصحابُه النبيُّ عَنْ الكرام على عَنْ المَا النبيُّ عَنْ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ الل

« يَا فُلانُ، ويَا فُلانُ، ويا فُلانُ - بأسائهم واحدًا واحد - أَوَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّ حَقَّا، لَقَدْ كَذَّبتُمُونِي وصَدَّقَنِي النَّاسُ، وَخَذَلْتُمُونِي ونَصَرَنِي النَّاسُ. قالوا: النَّاسُ، وَخَذَلْتُمُونِي ونَصَرَنِي النَّاسُ. قالوا: يا رسول الله أَتُخاطِبُ قَومًا جَيَّفوا(١)؟! قال: مَا أَنتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لا يُجِيبُون الواه البخاري.

فالموتُ ليس نهايةَ حياة الإنسان الحقيقية، الموتُ بدايةُ الحياةِ الأبديَّة، والدليل قول الله عزَّ وجل:

﴿ يَقُولُ يَلْنَتَنِي قَدَّمَتُ لِحَيَاتِي ﴿ يَكُونِكُ عَذَابُهُ وَأَخَدُ ﴿ يَكُونِكُ عَذَابُهُ وَأَخَدُ الْحَياةُ الدنيا تنتهي بالموت، والحياةُ الآخِرةُ بقاءٌ، الدنيا دارُ عمل، والآخِرةُ دارُ جزاء، الدنيا دار تكليف، والآخِرة والآخرة والآخرة والآخرة وما أخذت تكليف، والآخرة دار تشريف، الدنيا محدودة والآخرة طليقة، وما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما يأخذ المخيطُ [الإبرة] إذا غُمِس في مياه البحر، وإنَّ المؤمنَ حينها يموت ينطلِق من ضِيقِ الدنيا إلى سَعَةِ الآخرة كما ينطلق الجنينُ مِن ضِيقِ الرَّعِم إلى سَعَةِ الدنيا، هو: ﴿ اللَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَالْحَيْةُ لِبُلُوكُمُ الدنيا، هو: ﴿ اللَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَالْحَيْةُ لِبُلُوكُمُ اللَّهُ مِن ضِيقِ الدنيا، هو: ﴿ اللَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَالْحَيْةَ لِبُلُوكُمُ الْحَيْقُ الْمَوْتُ وَالْحَيْقُ لِبُلُوكُمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِن ضِيقِ الدنيا، هو: ﴿ اللَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَالْحَيْقُ لِبُلُوكُمُ الْحَيْقُ الْمَالُ وَهُو ٱلْعَيْمُ الْعَفُورُ اللَّهُ سُورة اللك / ٢.

لِبَنْلُوَكُمْ: أَي: لِيَمْتَحِنَكُم. إِنْ عِلَّةَ وجودِنا فِي الأرض: الامتحانُ والابتلاء، والدليل: ﴿ وَإِن كُنَا لَمُبْتَلِينَ ﴿ آَ ﴾ سورة المؤمنون / ٣٠، ﴿ أَحَسِبَ النّاسُ أَن يُتُوكُواْ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿ آَ ﴾ سورة العنكبوت / ٢، (يفتنون: أَن يُتَركُواْ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿ آَ ﴾ سورة العنكبوت / ٢، (يفتنون: أي يبتلون) كلَّ شيءٍ تنطوي عليه نفسُك سوف ينقلب إلى عمل، وسوف يُجسَد ويظهر، فالكريمُ يَظهرُ كَرَمُهُ، واللئيمُ يَظهرُ لُؤمُهُ، والبخيلُ يَظهرُ

١ - يعني ماتوا وأنتنت جثتهم.

بُخلُهُ، والسَّخِيُّ يظهر سخاؤُهُ، والمستقيمُ تَبدُو استقامَتُهُ، والمُنحَرِفُ يظهرُ انْحِرافُهُ؛ الحياة تُظهر ما في الناس، وفي هذا ابتلاء.

- هناك استنباط رائع جدًّا، وهو أن الإنسان خُلِقَ للعمل الصالح؛ لأن العمل الصالح مفتاح لدخول الجنة؛ وكثرته ترقى به في درجاتها، ولذلك فالإنسان حينها يموت لا يندم إلا على شيء واحد، هو تقصيره في العمل الصالح، ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿ اللَّهُ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَلِحًا فِيمَا تَرَكُتُ ﴾ سورة المؤمنون/٩٩/.

والنقطة الدقيقة هي أن سرَّ وجودِك وعِلَّته أن تعمل عملًا صالحًا (في كل مجالات العمل) يَصلُحُ للعرض على الله كي يكون سببًا لدخولك الجنة.

الناس معادِن، فهناك إنسان كالجوهرة بأخلاقه وعدله، وإنصافه، وورعه، ورحمته، وحبّه للخير، فهومصدرُ عطاء، ومصدر أمن للناس، وهناك إنسان كالفحم يعيش كالطحالب على أنقاض الناس، يبني غناه على إفقارهم، ويبني حياته على موتهم؛ هناك إنسان يتزوَّج فيزداد قربًا من الله، وهناك إنسان يسافر فيتفلَّت، وإنسان يسافر فينفلَّت، وإنسان يسافر فيرداد قربًا من الله، كما قال الإمام الشافعي: «السفر يزيد التقي تقى والفاجر فجورًا». هناك إنسان يغتني فيتفلَّت، وإنسان يغتني فيزداد عملًا صاحًا، هناك إنسان يفتقِرُ فيكفُر، وإنسانٌ آخرُ يفتقِرُ فيصبِر، فأنت عملًا صاحًا، هناك إنسان يفتقِرُ فيكفُر، وإنسانٌ آخرُ يفتقِرُ فيصبِر، فأنت الله، هو الغني إذا أُعطيتَ الغِني، ولو قدَّر اللهُ أن تكون فقيرًا فأنت ممتحنٌ بالفقر، لو أُعطيتَ وسامةً فأنت ممتحنٌ بالوسامة، وإذا لمَ ثُعُطَ الوسامة بالفقر، لو أُعطيتَ وسامةً فأنت ممتحنٌ بالوسامة، وإذا لمَ ثُعُطَ الوسامة

فإنك ممتحنٌ بعدم الوسامة، أُعطيتَ زوجةً لِتُمْتَحَنَ بها، فهل تأخذُ بيدها إلى الله أمْ تُطلِقُ لها العنان ما دامتْ تُرضيك؟ أنت ممتحنٌ بالأولاد، ممتحن في كلِّ ثانية، في كل حركةٍ وسكنةٍ أنت ممتَحَنٌ، أنت مراقب، ﴿إِنَّ رَبِّكَ لَمُ أَلِمُ رَصَادِ لَا الله المُ مُوتِيبًا لا الله الماء الماء

مَن يعلمُ ذلك؟ اللهُ وحدَهُ يعلم ذلك.

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَتِ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ ... ﴾ سورة الملك / ٣.

الشمسُ والقمرُ آياتُ كونِيَّةُ من آيات الله، كلَّ شيءٍ فوقَك فهو سهاء، والشمس والقمر من السهاء، والنجوم من السهاء كذلك. وكلمة (سبعة) عند بعض علماء اللَّغة تدلُّ على التكثير لا على العدد، أي: تفيد السبعة ومضاعفاتها الكثيرة، أي: إن هناك طبقاتٍ من السهاء لا يعلمها إلا الله. ﴿ اللّهُ اللّهُ مَوْتَ بِغَيْرٍ عَمَدٍ تَرَوَّنَهَا ﴾ سورة الرعد/ ٢.

العبرة من مثل هذه الآياتِ أن ينطلق الفكرُ لمعرفة الله عزَّ وجل من خلال صنعته، هذا الطريق هوطريق آمن، الفكر حينها ينطلق لتُعمله في ذات الله تَهْلِك، هناك أناسٌ لا يحلو لهم إلا الخَوْض في ذات الله، في أفعال الله، هذه متاهات لا تنتهي، هناك حدود للعقل البشري، يجب أن تبقى في مخلوقات الله. قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ الله، سورة الرحن/ ٧، الله أعطاك ميزانًا، ولكن هذا الميزان ينبغي أن لا تستخدمه سورة الرحن/ ٧، الله أعطاك ميزانًا، ولكن هذا الميزان ينبغي أن لا تستخدمه

إلا في مخلوق ات الله، أما إذا أردت أن تُعْمِلَهُ في غير ما خُلِق أعطاك نتائج عجيبة، فكل شيء عجز عقلك عن إدراكه أخبرك الوحيُ به، فهناك دورٌ للعقل ودورٌ للتلقي، فالعقل يفكّر في مخلوقات الله فيصِلُ إلى الله، ولن يستطيع أن يخوض في ذات الله.

﴿... مَا تَـرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَـنِ مِنْ تَفَـاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ ﴾ سورة الملك/٣.

ما هو التفاوت المقصود؟

هناك تفاوت، أليست النملةُ تتفاوت مع الفيل؟ أليست السمكة الصغيرة تتفاوت مع الحوت الأزرق؟ ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي ٓ أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ سورة النمل/ ٨٨، التفاوت لا في الحجم، فالحجوم متفاوتة، وليس في التعقيد؛ لأن التعقيدات متفاوتة كذلك، هناك تفاوت.

لكن لا تفاوت في الصنعة، ثَمَّة شركاتُ الآن تُنتِج نوعين من البضاعة: نوعًا للاستعمال المنزليِّ، ونوعًا للاستعمال الصناعي، فالآلة المنزليِّ، ونوعًا للاستعمال الصناعية تعمل باستمرار، وهي مُتقَنة جدًّا، ومتينة جدًّا، والآلة المنزلية من المواد البلاستيكية؛ فتكون ضعيفة، بحسب استعمالها، هذا المصنع صَنعته من متفاوتة وتعالى صنعته غير متفاوتة [لا متفاوتة من حيث الإتقان، لكن الله سبحانه وتعالى صنعته غير متفاوتة [لا يوجد فيها خلل]. إذًا: ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، أي: من تباين في الصنعة.

﴿... فَأُرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلُ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ إِنَّ ﴾ سورة الملك / ٣.

أي: هل ترى من خلل في الصنعة؟

تفكر وتدبر في:

١ - ماء العين:

الإنسان قد يذهب إلى القُطب الشهالي، وقد تنخفض الحرارة هناك إلى سبعين درجة تحت الصفر، وقد يستخدم كلَّ شيء يَقيهِ البردَ من ألبِسةٍ صوفيَّة، إلى أحذية فيها فَروُّ، إلى معاطفَ سميكةٍ جدَّا، إلى قُبَّعات من الفرو، إلى قِطَع من الصوف يلفُّها على وجهه، بإمكانه أن يستُر كل أعضائه عدا العينين؛ لأنه يريد أن يمشي، فالعين تُلامس الهواءَ الخارجيَّ، والهواءُ الخارجيُّ ورجته سبعون تحت الصفر، والعين فيها ماء، والماء يتجمَّد في الدرجة صفر، فينبغي أن يفقِد كلُّ مَن يسكن هذه المناطق أبصارَهم، واللهُ عزّ وجل أودع في ماء العين مادَّةً مضادَّةً للتجَمُّد، هذه من آيات الله الدالَّةِ على عظمة الله.

الماء إجمالاً.. شأنه شأن أيً عنصر في الأرض كلّم برّدته انكمَشَ، وكلّم سخّنته تمدّد، إلا أن هذا الماء ينفر د بخاصّة من بين كلّ العناصر أنك إذا برّدته ينكم شُ وينكمش وينكمش إلى الدرجة [+] أربعة، وبعدها يتمدّد، لو لا هذه الخاصة لما كنّا هنا في هذا الكون، ولما وَجَدْنا على الأرض حياةً، الماء يتجمّد، فيزيد حجمه، وتَقِلُّ كثافتُه، فيطفو على السطح، ويبقى ماء البحر دافئا والحياة فيه جيّدة، فلو انكمشَ الماء عند التجمّد لزادت الكثافة فغاص [الثلج] إلى أعهاق البحار، بعد حين تتجمد كل المحيطات وينعدم التبخُّر وتنعدم الأمطار، ويموت النبات ويموت الحيوان ويموت الإنسان، هذا شيء مُتقَنُ جدًّا.

٢ - منقار الصوص: [فرخ الطير] يحتاج أن يخرج من البيضة، فينشأ على منقاره نتوء كالإبرة تمامًا يكسر به البيضة، وبعد حينٍ يَضْمُر هذا النتوء وتنتهي مهمَّته، هذه صنعةٌ متقنةٌ ما بعدها إتقان.

٣- الزائدة الدودية والغدة الصنوبرية: يقولون: الزائدة الدودية لا فائدة منها، هذا غلط.. الزائدة [من ذاد، أي: دفع] الدودية هي الذائدة المُدافِعة. هناك عالم كبيرٌ من علماء أمريكا في علم التشريح قال لطلّابه وقبل ثلاثين عامًا -: إن الغُدة الصنوبرية غدة لا فائدة منها، ولا تعني شيئًا، هي غدة في وسط الدماغ حجمها كحجم حبّة الذرة الصفراء تُنتِج هرمونًا، الآن اكتُشِف أن هذه الغدة من أخطر الغُدَد، ومفرزاتها موجودة في كل كائن حي: في النبات، والحيوان، والإنسان، حتى في المخلوقات البسيطة كوحيدة الخلية «الهرمون» فيها هو هو، ولها علاقة بصيانة القلب، لها علاقة بالنوم، لها علاقة بالنشاط والحركة، بمكافحة الأمراض والجراثيم، فالآن وجدت الأبحاث العلمية أنَّ ما قاله هذا العالم غيرُ صحيحٍ، فلا يوجد شيء زائد في الكون أبدًا.

٤ - عدسة العين:

أنت حينها تراقبُ حركة سير السيّارات تبتعد وتقترب أمامك في طريق مزدحِم، كيف ترى هذه المركبات بشكل دقيق؟ معنى ذلك أن خيالَ هذه المركباتِ يقع على الشبكية دائيًا، والبُعدُ بين العدسة والشبكية ثابت، والأجسامُ بُعدُها مُتفاوِتٌ، إذًا فالعدسة التي في العين عدسةٌ مَرِنَةٌ يبزداد احتدابُها ويَقِلُ من أجل أن يقع الخيال على الشبكية دائيًا، من خلق ذلك؟ إنه الخلاق العليم.

﴿ ثُمَّ ٱنْجِعِ ٱلْبَصَرَكَزَّنَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِتًا وَهُو حَسِيرٌ ١٤٠ ﴿ ١٤.

كَرَّنْيُنِ: أي مرتين.

خَاسِتًا: من خَسِئَ فلانٌ أي: أخطأ في مَسْعاهُ. فالبصرُ يبحث عن خَلل فلا يجده ولن يجدَه، ليس في الأرض أدنى خلل.

﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾: وهو مُتضائِلٌ، صغير؛ لذلك فإن هذا الذي يبحث عن عيبِ في الخَلْقِ سوف يرتدُّ بصرُهُ إليه.. لن يرى أيَّ نَقْصِ..

أما إذا صار هناك فسادٌ في الأرض فهذا الكلام صحيح.. قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَٱلْبَحْرِبِمَا كَسَبَتُ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ الْمَا أَصْلُ الصَّنعةِ [صنعة الخالق] فلا يوجد فسادٌ أبدًا.

مثالٌ على ذلك: إذا قاد الإنسانُ مركبةً من أحدث المركبات وهو يشرب الخمرَ فإن هذه المركبة ستتدهور، وبعد التدهور سيصبح لها منظرٌ قبيحٌ جدًّا، فهل نقول: أيُّ مصنع صنعها؟! لا؛ لأن المصنع ليس سببًا في هذا المنظر البشع، وإنها أصبحت بهذه الهيئة لأنها استُخدمت استخدامًا غير صحيح، ولأن الذي قادَها قادها وهو تَمِل (سكران)، فحدث لها ما حدث، أما إذا رأيتها كاملةً فستقول: مَن الذي صنعها؟ مِن أيِّ مصنع هي؟ إذن: هناك فسادٌ سببُهُ أن الإنسانَ خُيِّرُ ولم يستخدم منهجَ الله تعالى في حياته.

﴿ وَلَقَدُ زَيَّنَا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَدِيحَ وَجَعَلْنَهَا رُجُومًا لِلشَّيَطِينِ ۗ وَأَعْتَدُنَا لَهُمُّ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۞﴾ سورة الملك / ٥.

جِمالُ الدنيا نموذجٌ مُصغَّر عن جمال الجنة:

ربُّنا سبحانه وتعالى زَيَّن السماء الدنيا بمصابيح [نجوم مضيئة]، وقد كان فيها قرأْنا أن الذين حاولوا عَدَّ نجوم السماء بأعينهم رأوا أن هذه النجوم لا تزيد عن عشرة آلاف نَجْم، وهي النجومُ التي نراها بأعيننا،

لكن تقدير علماء الفلك يقول: إن هناك مليونَ مليون مَجَرَّة، وفي كل مجرَّةٍ مليون مليونِ نجم، فهذه النجوم التي نراها بأعيننا هي في سماء الدنيا.

المعنى الآخر من التزيين: ﴿ إِنَّاجَعَلْنَا مَاعَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَمَّا لِنَبَلُوهُمُّ أَخْسَنُ عَمَلًا ﴿ ﴾ الشيء الدقيق هو أن الأرض فيها أشياء جميلة، والأشياء الجميلة محسوسة ملموسة بحواسنا، فهناك صور جميلة، وأصوات جميلة، وأطعمة طيِّة، ومباهج، فالدنيا محسوسةٌ والآخرة خبر؛ من هنا نرقى، فالآخرة خبر، والجنة وَصْفُ، وصفٌ في القرآن، شرحٌ من بيان النبي عليه الصلاة والسلام؛ فالذي يُؤثِرُ الآخرة يرقى عند الله، فلو أن الآخرة محسوسة كالدنيا لما ارتقينا إلى الله أبدًا.

لقد وضع الله في الأرض الكثير من المظاهر الجماليَّة، فهناك سماءٌ مُزدانةٌ بالنجوم، وجبالُ خضراءُ، وبساتين غَنَّاء، وبحارٌ صافية، هذه المَسحَةُ الجمالية التي أو دعها الله في الكون لها مهمةٌ خطيرة، وهذه المهمة هي أن الله سبحانه وتعالى إذا حدَّثنا عن جمال الجنة ولم يكن في الأرض مواطِنُ جماليةٌ فإننا لن نفهم هذا الحديث إطلاقًا؛ لأن اللُّغة تثير صورًا وتجارب في نفس الإنسان، فلو أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يُحَبِّبنا بالجنة فوصفها ولم يكن في الأرض شيءٌ جميل نُعلِّق عليه أوصافَ الجنة فلن نفقه عندئذِ شيئًا عن الجنة، فالمواطن الجمالية في الأرض من أجل أن يكون لوصف الجنة مُرْتَكُزٌ من واقع الحياة.

رُكِّبتْ في الإنسان نوازعُ وغرائزُ وشهواتٌ ومُيولٌ، وهناك أشياء جميلة كثيرة، بدءًا من النساء، إلى الأطعمة، إلى القصور، إلى البساتين، إلى المُتلكات، إلى مُتَع الحياة الأُخرى، لكنَّ هناك آخرةً [أبديَّة] جاءت في كتاب الله، فالذي يتعلَّق بها هو جميل في الدنيا [الزائلة] ولا يعبأ بالمصير

يسـقُط عند الله عزَّ وجل، والذي يصدِّق الله عزَّ وجل ويؤمن بها وعد اللهُ به المؤمنين و لا يأخذ من الدنيا إلا ما سُمِحَ له مما وافق منهج الله عزَّ وجل هذا الذي يرقى إلى الله عزَّ وجل.

فالشيء الجميل له وظيفتان:

١ - وظيفةٌ بيانية.

٢ - ووظيفةٌ ابتلائية، به تُبْتَلى، وبه تعرف الآخرة.

وظائف النجوم:

قال العلماء: هذه النجوم لها ثلاث وظائف حصرًا، وما سوى ذلك ظنٌّ وَوَهْمٌ:

*أنها مصابيح.

*أنها رجومٌ للشياطين.

*أنها علاماتٌ نهتدي بها في ظلمات البرّ والبحر.

لدينا آيات أخرى تُفَسِّرُ هذا، فالشيطان من الجن إذا صعد إلى السهاء لِيَسْتَرِقَ السمعَ يتبعه شهابٌ راصد، فيرْجَم الشيطان بشهابٍ من هذا النجم، فليس النجم هو الذي يُلْقى على الشيطان كليًّا، بل جزءٌ من النجم يُلقى على الشيطان على الشيطان فيحرقه.

لماذا لم يفسر النبيُّ صلى الله عليه وسلم الآياتِ الكونية؟

ربنا جلَّ جلاله أعطانا من الآيات الكونية الشيءَ الذي تفهمه عقولُنا، فقد أشار سبحانه في القرآن إلى أصول العلوم ولم يأت بتفاصيل، لماذا؟ لأن الإنسان مكلَّف؛ فإذا فعل ما أُمر أن يفعل وامتنع عما مُنْع وَصَلَ إلى جنةِ ربِّه،

أما آياتُ الكون فكلًا تقدَّم العلم كشف جانبًا من عظمتها؛ لذلك فالقرآن الكريم معجزة المسلمين إلى يوم القيامة، وكأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام قد أوحى اللهُ سبحانه وتعالى إليه ألا يبيِّن ويفصِّل في آياتِ الكون، وهذه حكمةٌ بالغةٌ منه، فإنه لو شرحها شرحًا مُبَسَّطًا جدًّا تفهمه عقولُ مَن حوله لأنكر عليه هؤلاء الذين أتوا بعد آلاف السنين وقد تطوَّر العلم تطوُّرًا كبيرًا، وإن شرحها شرحًا مفصَّلًا تعجزُ عقولُ مَن حولَهُ عن إدراكه وقع هؤلاء في مشكلة وهؤلاء في مشكلة وهؤلاء في مشكلة وهؤلاء في مشكلة ولله في الآيات الكونية فترك كلَّ عصر يكشف جانبًا من عظمة في التكاليف، أما في الآيات الكونية فترك كلَّ عصر يكشف جانبًا من عظمة هذا الكون؛ لذلك يُعَدُّ القرآن الكريم مُعجزة المسلمين المستمرَّة، وهذا يؤكِّده قول الإمام عليٍّ كرم الله وجهه: «في القرآن آياتٌ لَمَا تُفسَّر بَعْدُ».

أمثلة على ذلك:

١ - برزخ بين البحرين!!

الآيات التي وردت في القرآن وهي قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْنَقِيَانِ ﴿ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْنَقِيَانِ ﴿ اللَّهِ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْنَقِيَانِ ﴿ اللَّهِ مَا اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّلْمُ الللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللللللَّاللَّا الل

الآن بعد ألف وأربعائة عام صوَّرت مركبات الفضاء والسفن خطوطً عند تلاقي البحار، هذه الخطوط خطوط تبايُن، فلما عَكفوا على دراسة مياه البحار وجدوا أنَّ كلَّ بحرٍ له مكوِّناته، وله خصائصه، وله كثافته، وله مُلوحته، وأن مياه أيِّ بحرٍ لا يمكن أن تختلط بمياه البحر الآخر، وقد رأوا من خلال سفن الفضاء هذا الخط بين البحرين، في باب المندب، وبين البحرين الأبيض والأحمر، وبين الأبيض والأسود، وبين النبيض والأسود، وبين

البحر الأبيض والمحيط الأطلسي، هذه الخطوط المتباينة فُسِّرَت بها الآية؛ لذلك انطلق بعض العلماء الذين اختصُّوا بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم إلى معظم بقاع العالم، والتقوا مع قمم العلوم في شَتَّى بقاع الأرض، وكلما عرضوا عليهم حقيقةً قُرآنية في اختصاصهم خضعوا وقالوا: هذا لا يمكن أن يكون من عند بشر؛ لأن مُحصِّلة العلوم البشرية وصلت بنا إلى هذه الحقيقة، أما أن يأتي بها إنسانٌ قبل ألفٍ وأربعائة عام ويعرض هذه الحقائق فهذا يعني أنه رسول الله.

٢ - ذبح الشاة بقطع أوداجها دون رأسها:

لقد أمرنا النبيُّ عليه الصلاة والسلام أن نذبح الشاة بقطع أو داجها فقط دون أن نقطع رأسها، فلا في عصر النبي ولا بعد عصر النبي، ولا في بيئة النبي ولا في مراكز الحضارة في عهد النبي، ولا بعد ألفٍ وأربعائة عام يمكن للعلم أن يُفسِّرَ هذا الأمر النبوي..

عُرِفَ مُؤخّرًا أن القلب يتلقّى أمرًا بالنبض مِنه ذاتيًّا، من مركزٍ بديل في القلب نفسه، كهربائيٍّ ذاتي، فإن تعطّل هذا المركز تلقّاه من مركزٍ بديل في القلب نفسه، فإن تعطل الثاني تلقّاه من مركزٍ ثالث، إلا أن هذه المراكز الثلاثة تعطي أمرًا بالضربات النظامية.. ثمانون ضربة في الدقيقة.. مهمةُ القلب بعد الذبح إخراج الدابة، فلو أننا قطعنا أوداج الدَّابة (دون قطع الرأس) لتعطَّل أمرٌ استثنائي، ولرُ فعت الضرباتُ من ثمانين إلى مائة وثمانين، فالقلب البشري يَنْبِض مائة وثمانين نبضة في حالات استثنائية، في الجهد، أو في الخوف، فقلب هذه الدابة يأخذ أمرًا بثمانين ضربة من القلب نفسه، ويأخذ أمرًا استثنائيًّا بهائة وثمانين ضربة من الدماغ، فلو قُطِعَ رأس الدابة وعجز القلب عن إفراغ الدم من الذبيحة، وكلام النبي ليس عن خبرةٍ، لعجز القلب عن إفراغ الدم من الذبيحة، وكلام النبي ليس عن خبرةٍ،

ولا عن تجربة، ولا عن ثقافة، ولا عن معطيات أرضية، كلام النبي عليه الصلاة والسلام وحيٌ يوحى، وهذا من دلائل نبوة النبي.

أما هؤلاء الشياطين الذين شَطَّ بهم السيرُ عن منهج الله عزَّ وجل، وأرادوا إغواء البشر، فإذا أرادوا أن يَسْتَرِقُوا السمعَ كانت هذه النجوم رُجومًا لهم، ومصيرهم في الآخرة إلى عذاب جهنم وبئس المصير.

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَيِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمٌ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿ ﴿ ﴾ سورة الملك / ٦.

فإذا أُلقي هؤلاء الكفار في النار، أو إذا أُلقي الجنُّ الذين خرجوا عن منهج الله في النار، فسوف يسمعون تسعير النار - والعياذ بالله - وكأنَّ لها شهيقَ الدوابِّ.

﴿ إِذَآ أَلْقُواْ فِيهَا سِمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِي تَفُورُ ٧٧٠ ﴿ سورة الملك /٧.

فالدَّابة تشهق إذا رأت الشَّعير، أي: تتطلَّع الدابة إلى غذاءٍ تأكله، وشهيق النار هنا معناه أنها تنتظرهم، وهذه صورة من صور النار.

تفور: أي تغلي، تغلي النار من شدة غيظها على أولئك الذين غفلوا عن رجم في الحياة الدنيا وأساؤوا إلى خَلقه.

﴿ تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ ٱلْغَيْظِّ ... ﴾ سورة الملك / ٨.

تَمَيِّرُ: أي تتفرَّقُ وتتقطع من شدة غيظها. الحقيقة أن الناس نِيامٌ، فإذا ماتوا انتبهوا، والإنسان قد ينشغل بدنياه، قد ينشغل بعمله، قد ينشغل بشهواته، بمكاسبه، بملذَّاته، قد ينغمس في حمأة الشهوة، فهو في غفلةٍ عن ربه، أما حينها يصحو ويأتيه مَلَك الموت وتنقطع عنه شهواته عندئذٍ يتمزَّق ندمًا لما فعل.

وكأن النار هنا نفسٌ مدركةٌ تغتاظ من هذا الكافر الذي جَحَدَ نِعَمَ الله عزَّ وجل الذي سَخَر له ما في السهاوات وما في الأرض، فكان الغافل الوحيد، قال الله عزَّ وجل: ﴿ تُسَيِّحُ لَهُ ٱلسَّمُونَ ٱلسَّبَعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَيِّحُ بِجَدِهِ وَلَكِن لَا نَفْقَهُونَ تَسَبِيحَهُمُ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿ الله سورة الإسراء / ٤٤.

أَيُعْقل أَن يكون المسخَّرُ لك في حالة صحوٍ وأنت الذي سُخِّرَ لك كلُّ ما في السهاوات والأرض الغافل؟ هذا الكافريرتكب في حق نفسه جريمةً.

﴿...كُلُّمَا أَلْقِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَهُمُ خَزَنَنُهَا أَلَمْ يَأْتِكُو نَذِيرٌ ﴿ ﴾ سورة الملك / ٨.

ما النذير؟

١ - قيل: النذير هو النبي عليه الصلاة والسلام؛ لقول الله عزَّ وجل: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا آرُسَلْنَكَ شَنِهِ دًا وَمُبَشِّرًا وَنَـنِيرًا ﴿ ثَا اللهِ بِإِذْ نِهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ بِإِذْ نِهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ بِإِذْ نِهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عِلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُهُ عَلَى اللهُ عَلَى

٢ - وقيل: كتاب الله هو النذير؛ لأن الله سبحانه وتعالى أنزل هذا الكتاب وبيَّن فيه الحلال والحرام، الخير والشر، الحق والباطل، أمر فيه ونهى، وبيَّن أحوال الأمم السابقة ومصير الأمم اللاحقة، بين فيه أحوال أهل النار، وأحوال أهل الجنة، فهذا الكتاب هو النذير.

٣- وقيل: النذير هو الشَّيْب.

٤ - وقيل: النذير هو سن الأربعين، فالإنسان إذا بلغ الأربعين
 بلغ النضج، واكتمل عقله، وتوازنت انفعالاتُه، وأدرك الحقائق؛ لذلك
 الأربَعون هي النذير.

٥ - وقيل: النذيرهي المصائب؛ فالله سبحانه وتعالى قادرٌ أن يُبقي الإنسانَ قويًّا صحيحًا معافى، إلى أن يأتيه الموت فجأةً، لكن بهذه الطريقة لا يتوب إلى الله عز وجلّ، بل يبقى في بَغيه وعُدوانه وانجرافه، ولكن تأتي المصائب فتلفت نظر الإنسان إلى الله، وبقدر الانحراف تأتي المُصيبة، انحراف بسيط مصيبةٌ خفيفة، وكلها ازداد الانحراف ازدادت شدة المُصيبة من أجل أن تُصيب الهدف وأن تعيده إلى الصواب.

النذير موجود، ولله آياتٌ في كل عصر، آيات الله صارخة، وواضحة، وبيِّنة، آيات مُنذِرةٌ.

فمعنى الآية: أن خزنة النار (الملائكة) تسأل: ما الذي جاء بكم إلى هنا؟ أين عقلكم؟ ألم يأتكم نذير ينذركم؟

﴿قَالُواْ بَكِنَ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبُنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنَّ أَنتُمَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۗ ۗ ﴾ سورة الملك / ٩.

يقول أحدُهم: هذه دعوات غيبيّة، ونحن واقعيُّون، وهذا الذي يدعوك إلى الله له مصالح، وله نوايا، وله مطامع في الدنيا، وقد قالوا عن النبي عين : إنه مجنون، وقالوا عنه: ساحر، وقالوا عنه: كاهن، وقالوا عنه: شاعر، وأهل الكفر دائمًا يطعنون بمن يدعوهم إلى الله عزّ وجل، ويطعنون بدعوتهم، ويسفّهون شخصيتهم.

ما الحكمة التي أرادها الله من ختم الرسالات بمحمدٍ عليه الصلاة والسلام؟

تصوَّر لو أن نبيًّا جاء في هذا العصر، إذن لسمعت عنه العجب العُجاب. قرأت تحليلاتٍ من علماء نفس، وتحليلات من بعض الدارسين

للتاريخ، لقد كانوا يفهمونه على أيَّة طريقة إلا أنه نبيُّ، والإنسان الكافر حينها أعرض عن الله عنَّ وجل كان معه جهاز خطير، وهو الفكر، فالفكر عند الكافر يستخدمه لرد الحق، ويستخدمه لفلسفة الشر، ولتزيين الباطل، ولتغطية الانحراف، فكرُّ تبريري؛ لذلك فالنبي عليه الصلاة والسلام حينها جاء قومَه، ألم يروا صدقَه وأمانتَه ونسبه؟ ألم يقرؤوا هذا القرآن الكريم الذي جاء به؟ هل في هذا القرآن مأخَذُ؟ هل فيه ريبٌ؟ هل فيه خللٌ؟ ألم يروا كهاله؟ ألم يروا عفافه؟ ألم يروا علمه؟ ألم يروا رحمته؟ ومع ذلك كذّبوه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿ اللهِ سورة الإسراء / ١٥، قال بعض العلماء: المراد بالرسول في هذه الآية: العقل.

فربُّناعنَّ وجلَّ تولَى أن يهدينا، تولى أن يُسوِعنا الحقَّ، تولى أن يُسوِعنا الحقَّ، تولى أن يُوصِل إلينا الهدى، هذا على الله، وما علينا إلا الاستجابة فقط، علينا أن نستجيب..؛ قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِللَّهِ وَلِلرَّسُولِ أَن نستجيب..؛ قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِللَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمُ لِمَا يُحْيِيكُمُ وَاعْلَمُواْ أَنَ ٱللَّهَ يَعُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِذَا دَعَاكُمُ لِمَا يُحْيِيكُمُ وَاعْلَمُواْ أَنَ ٱللَّهَ يَعُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِللَّهُ عَلَى اللهُ عَلَيْتِ مَا تَت نفسه وتحركت أعضاؤه، أما حينها يعرف الله عزَّ هو في حُكم المين ماتت نفسه وتحركت أعضاؤه، أما حينها يعرف الله عزَّ وجل يحييه الله بالهدى، فهناك حياة الجسد، وهناك حياة القلب، وحياة القلب تكون بمعرفة الله وذكره وطاعته.

﴿ وَقَالُواْ لَوْكُنَّا نَسْمَعُ أَوْنَعْقِلُ مَاكُنَّا فِي أَصَّكِ ٱلسَّعِيرِ (١٠) ﴿ سورة الملك/ ١٠.

وقالوا... هذه مقولة الكفار في النار.

الإنسان لا يصل إلى الله إلا بدليلين: دليلٍ عقليٍّ، ودليلٍ إخباريٍّ، من خلال التأمُّل في الكون تتعرف إلى خالق الكون، هذا دليل عقلي، أما في

الدين فهناك حقائق لا يمكن لعقلك أن يصل إليها إلا أن تأتيه عن طريق الوحي؛ لذلك يأتي السمع للإخبار الإلهي، والعقل للدليل الاستنباطي، فأنت تتعرف إلى الله من خلال الكون، هذا العقل الذي أودعه الله فيك يحكم أنَّ لهذا الكونِ خالقًا، وأنَّ لهذا الكون مُربِّيًا، وأن لهذا الكون مُسيِّرًا، وأن هذا الخالق والرَّب والمُسيِّر موجودٌ وواحدٌ وكامل.

لكنّ هذا الفكر لا يستطيع - عن طريق التأمُّل - أن يعرف لماذا خَلَقَنا اللهُ عنز وجل، هذا يجبُ أن يُعْلِمَكَ اللهُ به، هذا الفكر من خلال التأمُّل لا يمكن أن يعرف عن الماضي السحيق شيئًا.. عن أصل الوجود.. ولا عن المستقبل البعيد شيئًا، هذا العقل الذي أمدَّك اللهُ به لا يمكن أن يعرف عن الله شيئًا، فكلُّ شيءٍ عجز العقل عن إدراكه أخبرك الوحيُ به، صار عندك دليلٌ عقييٌّ تصل به إلى الله، ودليل نقلي يُخبرك عن الله، هؤ لاء الكفار لم يستخدموا عقولهم كي تصل بهم إلى الله، ولا أصغوا السمع ليتعرَّفوا إلى الله من خلال ما يُلقى إليهم، هم بعيدون عن إعمال عقولهم، وعن إصغاء السمع للدليل الذي جاءهم الوحي به. خطأٌ كبيرٌ جدًّا أن تنقل قضيةً من السمع للدليل الذي جاءهم الوحي به. خطأٌ كبيرٌ جدًّا أن تنقل قضيةً من دائرة المسموعات إلى دائرة المعقو لات، فالعقل البشري إن استخدمته فإنه فإنه في ما خُلِق له يعطيك أروع النتائج، أما إذا استخدمته لغير ما خُلق له فإنه سوف لن يصل إلى نتيجة.

فإذا جئتَ بقضيَّةٍ غَيبيَّةٍ أوحاها الله إلى نبيِّه فجعلتَها تحت بساط البحث العقلي، العقل عندئذٍ لا يستطيع أن يعطيك نتيجةً إطلاقًا؛ لأنك سخَّرْتَهُ لغير ما خُلق له، أنت بالكونِ تعرفُهُ، وبالوحي يَكشفُ لك كلَّ ما عجز العقلُ عن إدراكه.

﴿ فَأَعْتَرَفُواْ بِذَنِّهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَبِ ٱلسَّعِيرِ (١١) ﴿ سورة الملك/ ١١.

ما من إنسانٍ على وجه الأرض إلا ويؤمن إذا رأى العذاب، والدليل فرعون: قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَ هُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُ, لاَ إِلَهَ إِلَّا ٱلَّذِي ءَامَنَتَ بِهِ عَنُواْ إِسْرَوِيلَ وَأَنَاْ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿ ١٠ ﴾ سورة يونس / ٩٠ ، فكلَّ إنسان -كافرًا كان أو غير كافر - إن جاء الموت كُشِفَت له الحقائق.. كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ لَقَدُ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيُومَ حَدِيدٌ (٢٢) * سورة ق/ ٢٢، فالبطولة أن تكشف الحقائقَ قبل الموت؛ لذلك فالإنسانُ مع أيِّ شيء خيارُه خيارُ قَبولٍ أو رفضٍ، إلا مع الإيمان؛ فخِيارُهُ خيارٌ وقتٍ، فإما أن يؤمن في الوقت المناسب، وإما أن يؤمن بعد فوات الأوان، وإيهانه بعد فوات الأوان لا قيمة له إطلاقًا. لأن الله تعالى قال: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّكِيَّ اتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبَتُّ ٱلْكَنَ ﴾ سورة النساء/ ١٨، ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَكتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَنْهَا لَمْ تَكُنَّ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَنِهَا خَيْراً قُلِ اننظِرُوٓا إِنَّا مُنكَظِرُونَ اللَّهِ اللَّهِ الأنعام/١٥٨، فالمطلوب إذاً أن تؤمنَ قبل فوات الأوان، أن تؤمن بالله غيبًا، فهو الذي لا تُدرِكُهُ الأبصارُ، ولكن كلُّ شيءٍ في الكون يدلُّ عليه، فجهنم مثلًا لا نراها ولكن الله أخبرنا بها، وإيهانك بها إيمانٌ بالغيب، والجنةُ كذلك لا نراها ولكنَّ الله أخبرَنا بها، ويومُ الحساب لا نراه ولكنَّ الله أخرنا به.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرُ كَبِيرٌ ﴿ الله ﴿ ١٢ . حقائق الغَيْب:

الآخرةُ غَيْبٌ، والجنة غيب، ونار جهنم غيب، أما بهذه العينِ فإننا نرى كلَّ الأشياء المَحسُوسة، فالدنيا مَحسوسة، ملموسة، مَرْئيَّة، مسموعة، مُشاهدة، يوم القيامة غيب، فالإنسان إما أن يخاف بعينه، وإما أن يخاف

بعقله، وكلَّما هبط مستواهُ خاف بعينه، وكلما ارتقى مستواه خاف بعقله، فهذا الذي تعرَّف إلى الله من خلال الكون، وتعرف إلى منهجه، وخاف منه قبل أن يأتي الموتُ، خاف منه قبل أن يصل إلى النار، هذا إنسانٌ خشي الله بالغيب، فأنت مكشوفٌ عند الله، يعلم سرَّك وعلانيتك.

الإيان بالغيب وحدود العقل:

إن أهم ما يميِّز الإنسان أن الله سبحانه وتعالى أعطاه عقلاً، وبهذا العقل يستطيع أن يعرف حقيقة غائبة عن حواسًه، فالحيوان أعطاه الله حواسٌ، إلا أنه يرى بهذه الحواسٌ محيطه فقط، أما الإنسان فقد أعطاه الله حواسٌ يرى بها محيطه، وأعطاه عقلًا يكشِف له ما غيّبه عن حواسّه، وهذه ميزةٌ كبيرةٌ للإنسان، فالله سبحانه وتعالى لا تُدركه الأبصار، ولكنَّ العقل الذي أودعه الله في الإنسان يمكن أن يعرف الله دون أن يراه، يمكن أن يعرف هم من أثرو، فالعقل يعرف المؤتّر من الأثر، كها يعرف الخالق من المخلوق، والمنظم من النظام، فأنت تملك عقلًا يكشِف لك شيئًا مغيبًا عنك من خلال آثاره، وقد شاءت حكمة الله جلّ جلاله أن يغيب عن أبصارنا وتراه عقله، فيستخدمه لغير ما خُلِق له فإنه يشقى في الدنيا والآخرة، استخدام عقله، فيستخدمه لغير ما خُلِق له فإنه يشقى في الدنيا والآخرة، فالذي يرى الله بعقله من خلال خَلْقِه هو الذي خشي الله بالغيب...

قال تعالى: ﴿ الْمَرْ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الل

فعين المتّقي لَمْ تَرَ ربّه، ولكنّ عقلَهُ رآه، فعرفَهُ واستقام على أمرِهِ، فبهذا استحقَّ الجنّة؛ لأن حواسًه لم تر اللهَ عزَّ وجل، لكنَّ عقلَهُ عرف اللهَ من خلال خَلْقِهِ.. الدِّينُ كلُّه أن تعرفَ اللهَ وأن تُطيعَهُ، فتعرفُهُ بآياته

الكونيَّةِ والتكوينيَّةِ والقُرآنيَّةِ، وتطيعه بمنهجه وبتشريعه، فإن تعرَّفتَ إليه وتعرَّفتَ منهجه والتكوينيَّةِ والقُرآنيَّةِ، وتطيعه بمنهجه والآخرة، وأهمُّ شيء في وتعرَّفتَ منهجه وأطعته سعدت بقُربِهِ في الدنيا والآخرة، وأهمُّ شيء في حياة المؤمن أن يعرف الله، فإذا عرفه كان أكثرُ شيءٍ يَشغَلُهُ أن يُطيعَهُ، فهو يتفكَّر في خلق السهاوات والأرض..

فَخَلْقُهُ نَتَفَكَّر فيه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْأَرْضِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ وَيَكَمَّا وَٱلنَّهَارِ لَآيَنَتِ لِلْأَوْلِي ٱلْأَلْبَابِ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَيَكَمَّا وَاللَّهُ اللَّهُ وَيَكَمَّا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلًا شُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَا بَالنَّارِ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَمِونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللل

وأفعالُـهُ ننظـر فيهـا، قـال تعـالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُـمَّ ٱنظُـرُواْ كَالَ عَلِقِبَةُ ٱلْمُكَلِّذِبِينَ ﴿ اللَّهُ سورة الأنعام / ١١.

وكلامُه نتدبَّره، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرَءَاكَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقَفَالُهَا آلَهُ ﴾ سورة محمد/ ٢٤.

بهـذا يمكـن أن تَعرفَهُ، فإنْ عرفتَهُ فابحثْ عن شَرعِهِ، ابحثْ عن أو امره ونواهيه، فإن طَبَّقتَها حقَّقْتَ المرادَ من وُجودك.

أما لو أمكن حواسًك أن ترى الله فهذا يعني أنك في الآخرة، وجاء في الحديث الشريف: «إِنَّكُمْ تَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ». في الحديث الشريف: «إِنَّكُمْ تَرَونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ». متفق عليه، وفي حديثٍ آخر: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا». رواه البخاري ومسلم. قال تعالى: ﴿وُجُوهُ يُومِينِ نَاضِرَهُ ﴿ اللَّهِ إِلَى رَبِّهَ اللَّهُ الْإِنَّ لَهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّ

حقيقة الدِّين مُخْبَرَ عنها في القرآن فقط، فالجنة خبرُ والنار خبرُ، وذات الله خبرُ.. لكن الدنيا محسوسة، فأنت تمشي في الطريق فترى أمامك امرأة، وقد تنظر إلى سيارة فارِهة وبيتٍ فخم، قد ترى طعامًا لذيذًا، هذه

كلها محسوسات أمامك، تُدرِكُها بحواسًك الخمس، ولكن حقائق الدين تحتاج إلى إعهالِ عقل، تحتاج إلى قراءة قرآنٍ وتفكُّرٍ ونظرٍ، فإذا آمنت بشيءٍ مغيَّبٍ عنك ارتقيت عند الله عزَّ وجل؛ فلذلك كانت المُشاهدات بالحواس، والمُغَيَّباتُ بالعقول، وبقيَتْ هناك حقيقةٌ لا يستطيع عقلك أن يدركها، ولا حواسُّك أن تراها، هذه الحقيقة أخبرك الله بها.. إذا أنت أمام ثلاث مستويات في الإدراك:

١ – المستوى الأدني: وهو للأشياء المحسوسة الملموسة، التي تراها وتسمعها وتشمّها وتلمسها، وتدرك حرارتها وبرودتها، خشونتها ونعومتها، شكلها ولونها، حجمها وصوتها، هذه كلها أشياء محسوسة، وأدواتها «الحواس الخمس»، ونحن وبقية المخلوقات سواءٌ في هذا المستوى، فإذا وضعت يدك أمام نملة تتحرَّك وقفتْ؛ لأنها رأت حاجزًا جعلها تقف، وإذا رأت دابة حفرةً وقفت أيضًا، والإنسان كذلك حينها يرى حفرةً يبتعد عنها؛ لأنه يكون قد رأى خطرًا فخاف فلم يقع في الحفرة صَوْنًا لسلامته، فنحن لا نرتقى بالمحسوسات، بل إننا وبقية المخلوقات سواء فيها، وذلك بدافع حب البقاء واستمراره وكماله، وبدافع حب السلامة، فلا يمكن لنـا أن نتحرك حركةً نهلك بها بحواسِّنا، فنحن حينها نتعامل مع المحيط الخارجي نتعامل من أجل أن نَسْلم، فنحن لا نقترب من النار لأن وهجها يبعدنا عنها، كما أننا لا نأكل الطعام الكَريهَ، ولا نقترب من الأشياء المؤلمة، كالكهرباء مثلًا، فلا نمسك بالتيار الذي فيه خطر الموت، كل هذه الأشياء تقع تحت سمعنا وأبصارنا وإحساسنا، فنبتعد عن الأشياء المؤلمة والخطرة بدافع من طبعنا وفطرتنا.

٢ - المستوى الثاني: هو مستوى أعلى من سابقه، هو شيءٌ غابت
 عنك ذاتُه وبقيت آثارُه، فالإنسان في المستوى الأول كأيِّ حيوان يرى

حفرةً أو حاجزًا فيقف، أما إذا رأى المصابيح متألِّقةً، ورأى هذا الجهاز الذي يُكبِّر الصوتَ فإنه يقول: لا بدَّ من تيارٍ كهربائي في هذا المسجد، إنه لا يرى التيار الكهربائي بعينه، ولكنه يحكم بوجوده بعقله، وهذا ما فعله الأعرابي بفطرته السليمة حيث قال: «الأقدامُ تدلُّ على المَسِير، والبَعرُ يدلُّ على البعير، والماء يدلُّ على الغدير، أفساءٌ ذات أبراج وأرضٌ ذاتُ فِجاجٍ اللا تَدُلَّانِ على الحكيم الخبير؟».

هذه هي ميزة العقل، فالعقل يمكن أن يرى دُخانًا فيقول: لا دخان بلا نار، فيحكم بوجود التيَّار من جلال الدخان، ويحكم بوجود التيَّار من خلال المصابيح وتكبير الصوت، ويحكم أن هناك مركبةً مرَّت من آثار عجلاتها، ويحكم بوجود التهابٍ من ارتفاع الحرارة، هذا هو العقل، له مهمة استدلالية على شيء غابت عينه وبقيتْ آثاره، فمن خلال آثارِه تتعرَّف مهمة استدلالية على شيء غابت عينه وبقيتْ آثاره، فمن خلال آثارِه تتعرَّف إليه، هذا هو «الإيهان بالغيب».. العقل البشري في هذا المستوى يُبْدِع ويحقق أعلى الغايات، فحينها تفكر في الأثر وتستخدم العقل تدرك من خلاله المؤثّر، وحينها تفكر في الخلق تدرك الخالق، وحينها تفكر في الخلق تدرك الخالق، وحينها تفكر في الحكمة تدرك الحكيم، وحينها تفكر في العمل العقل.

إن العقلَ محدودُ الإمكانيات، بمعنى أن العقل لا يستطيع أن يبحث عن شيءٍ غابتْ عينُه وآثاره؛ هذا مستحيل بالنسبة له، لذلك كان من أكبر الشريا عن شيءٍ غابتُ عينُه وآثاره؛ هذا مستحيل بالنسبة له، لذلك كان من أكبر الشريات وأعظم المتاهات وأكبر المُنزَلقات أن تأتي بعقلك وتُسَلّطه على موضوع غيبيِّ ذاتًا وآثارًا، فعقلك لا يمكن أن يصل إلى معرفة الجنِّ مثلًا؛ لأن الجن لا تمكن رؤيتهم؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ بَرَكُمُ مُووَقَبِيلُهُ مِنْ مَنْ تؤمن مَنْ لَا نَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْ

بهم بعقلك؛ لأنهم ليس لهم آثار، كذلك اليوم الآخر، والماضي السحيق، ونشأة العالم، وغير ذلك الكثير من الأشياء التي غابت آثارها، فلا يستطيع العقل أن يفعل شيئًا إزاءها؛ لذلك قد تَزِلُّ قدمُ الإنسان ويَضِلُّ حينها يأخذ قضيةً غيبيةً مطلقة – أي: غيبية ذاتًا وآثارًا – ويعرضها على العقل؛ فالعقل هنا ينحرف ويتخبَّط ويأتي بأفكار مضحكة..

إننا نعرف بالحواس الأشياء المادّية التي ظهرت عينُها وآثارُها، ونعرف بالعقل التحليلي كلَّ شيء غابت عنا عينه وبقيت آثاره؛ والدليل قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَيَهِكَ كَانَ عَنْهُ مَسَّعُولًا ﴿ اللَّهُ سُورة الإسراء/ ٣٦، قال بعض العلماء: الفؤاد هو العقل، والعقل يتعامل مع المحسوسات، والسمع نافذة للعقل، والبصر نافذة ثانية.

7- المستوى الثالث: وهو دائرة الإخباريات، فإذا كان هناك شيءٌ غابتْ عنك عينُه وغابتْ عنك آثارُه (أي لا تحسه ولا تلمسه) فلا سبيلَ لعقلك أن يعرِفه، فإذا فكَّرت فيه كفرت، ودخلتَ في متاهاتٍ لا تنتهي؛ لذلك الدائرة الأولى أدواتها الحواسُّ الخمس، والدائرة الثانية أداتُها العقل، والدائرة الثالثة أداتها الخبرُ الصادق، كل شيءٍ عجز عقلُك عن إدراكه أخبرك الله به، فأنت أمام شيءٍ محسوسٍ تُدركُه بعينك، وشيءٍ غابتْ عنك عينه وآثاره فتتلقاه عينُه فتعرفه بآثاره عن طريق عقلك، وشيءٍ غابت عنك عينه وآثاره فتتلقاه بالخبر الصادق عن الله تعالى في القرآن أو عن رسوله الكريم على الله عن الله تعالى في القرآن أو عن رسوله الكريم

وَطِّن نفسَك على أن تُصنِّف أية قضيةٍ تُعرَض عليك في بابها: هذه مع «المحسوسات»، أو هذه مع «الإخباريات»؛ لذلك لا تحاول أن تُقنِع إنسانًا مُلْحِدًا بوجود الجِنِّ؛ إنك لن تستطيع أن تُقنعه، ولن تستطيع أن تُقنِع أنسائًا مُلْحِدًا بوجود الملائكة، ولا بأصل العالم

وأنه من آدم وحواء، هذه كلُّها أخبارٌ أخبرنا اللهُ بها، فأنتَ إذا وَضَعتَ كُلُّها أخبارٌ أخبرنا اللهُ بها، فأنتَ إذا وَضَعتَ كلَّ قضيةٍ في الدين في مكانها الصحيح فإنك ستفهمها فهمًا دقيقًا، أما إذا وضعتَ قضيةً في مكان غيرِ صحيح فإنك ستَضِلُّ.

الآن التسلسل: أنت حينها تؤمن بالله من خلال آثاره، وتؤمن بالقرآن من خلال إعجازه، وتؤمن بالنبي من خلال كتابه، والقرآن أخبرك أن هناك يومًا آخِرًا، فإن إيهانك باليوم الآخِرِ إيهانٌ إخباري، والقرآن أخبرك: هناك يومًا آخِرًا، فإن إيهانك باليوم الآخِرِ إيهانٌ إخباري، والقرآن أخبرك في الله يُدَخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ جَنَّتِ بَجَرِي مِن تَعِبًا ٱلْأَنْهَرُ في سورة عمد/ ١٢، والله أخبرك أنَّ الكافر سيلقى في النار خالدًا فيها مخلَّدًا، فكلُّ قضية حدد هُويَّتها واستخدم الأداة المناسبة لها، فنحن في الإيهان بالله نعتمد على العقل والأثر والخبر، فإذا وجد أثر فاستخدم العقل، وإذا لم يوجد أثر فاستخدم العبن وانتهى الأمر، فاستخدم الخبر، ففي الشيء المحسوس مثلًا تستخدم العين وانتهى الأمر، والله سبحانه وتعالى شاءت حكمته أن يغيب عن أبصارنا، وأن تعجز والله سبحانه وتعالى شاءت حكمته أن يغيب عن أبصارنا، وأن تعجز حواشً نا الخمس أن تدركه؛ لذلك تحتاج معرفته إلى جهد عقلي، فالذي ونظر في الخلق أمن بالغيب؟ نظر في الخلق فعرف الخالق، ونظر في النظام فعرف المُنظر في الجكم فعرف الحكيم.

كلمة (آمن بالغيب) هل تعني كلمة ألقاها؟ لا.. بل إنها بحثُ دقيقٌ توصَّل إليه المؤمن، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَفِ توصَّل إليه المؤمن، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَفِ ٱلْيَلِ وَٱلنَّهَارِ لَاَيْتَ لِأَوْلِي ٱلْأَلْبَبِ ﴿ اللَّهُ اللَّهَ وَيَتَمَا وَقُعُودًا وَعَلَى اللَّهُ وَيَتَمَا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ يتفكّرون فعل مضارع جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ يتفكّرون فعل مضارع يفيد الاستمرار، ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلًا لا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَا بَالنَّارِ ﴿ اللهِ اللهِ سَورة آل عمران/ ١٩٠ - ١٩١.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌكِبِيرٌ ١١٠ ﴿ ١٠٠.

فمعنى (آمن بالغيب) أي: أعمل عقلَه حتى توصَّل إلى حقيقة ثابتة، أي: إنه بذل جهدًا، قال تعالى: ﴿الْمَ ﴿ الْمَ الْكَ الْكِ تَلْكَ الْكِ تَلْكَ اللهِ عن حَواسِّهم فأدركته اللهِ عن حَواسِّهم فأدركته عقوهُم، والعامةُ بكلمةٍ بسيطةٍ متداوَلةٍ يقولون: «اللهُ لمْ نَرَهُ، ولكنْ بالعقل نعرِفُهُ»، اللهُ لا يُرى بالعين لكنَّ العقلَ يُدركه؛ لذلك فإن آياتِ العقل والعلم تزيد عن ألف آيةٍ في القرآن الكريم.

لو أنَّ أحدَ الأشخاص ركب دراجةً وكان يمشي في طريق مستوية، وفجأةً رأى أمامه طريقين: طريقًا نازلة وطريقًا صاعدةً، فركب الدراجة ليرتاح في النزول، ولكن الصعود يصعب عليه، فالشيء المحسوس هو أن الطريق نازلة وهذه صاعدة، لكن هذه الحركة على هذه الطريق – للنازل باللدراجة – ممتعةٌ جدًّا، وهذه الحركة على الطريق الصاعدة متعبةٌ جدًّا، فلو أن لوحةً كُتبت عند مفترق الطرق: هذه الطريق النازلة تنتهي بحفرة سحيقةً ما لها من قرار، فيها وحوشٌ مفترسةٌ كاسرة تلتهم كل من يقع فيها، وهذه الطريق الصاعدة تنتهي بقصرٍ مُنيف فيه كلُّ شيء، فإذا اعتمد الإنسانُ على حواسِّه اختار الطريق النازلة، أما إذا قرأ اللوحة واعتمد على عقله فإنه سيسلك الطريق الصاعدة.. لذلك: قال رسول الله ﷺ: «حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ». رواه مسلم عن أنس بن مالك.

- مكاره: جمع مكره وهو كل ما يبغضه الإنسان ويشق عليه.

ولكن إذا قرأتَ اللوحةَ صار القصرُ خبرًا والحفرةُ السحيقة خبرًا، أما النزول المحسوس والصعود المحسوس فهم سهلان بالنسبة للحواس، فالذي لا يُعمل عقله ويتعامل مع حواسًه يختار الطريق النازلة، والذي يُعمل عقله وقرأ اللوحة فعرف أن وراء النزول هلاكًا ووراء الصعود نعيًا يختار الصعود.

هذا الذي يفعله الناس إذا رأوا مؤمنًا يخشى الله ، يضبط لسانه ، يتحرَّى الحلال ، يُؤْثِرُ دخلًا قليلًا حلالًا على دخل كبير حرام ، فإنه يُتَّهم عند الناس بالجنون بينها هو العاقلُ وحدَه ؟ لأنه قرأ اللوحة واختار الصعود.

هذا القصر المُنيف فيه كلُّ شيء، مع أنَّ الصعود إليه صعب جدًّا بالدراجة، ويتطلب جهدًا، وقد يضطر الصاعد أحيانًا إلى أن يحمل الدراجة، ولكن من وصل إليه سينال قصرًا مُنيفًا، أما الطريق النازلة فهي طريقٌ سهلة معبَّدة محفوفة بالرياحين والورود، والدراجة ترتاح بالنزول، لكنها تنتهي بهذه الحفرة، فالقضية كلَّها هي أن تُحكِّم عقلك.

فإذا عطَّل الإنسانُ عقله فإنه سينساق مع شهواته فينظر إلى النساء، يشرب أي شراب، يسهر في أي مكان، يحكي أيَّ قصة، أما إذا فكَّر في أن هذه لا تُرضى اللهَ وأنها محرَّمة فسوف لا ينساق لها.

لذلك عليك بالاستغفار مغفرةٌ تَمحي عنك كل السيِّئات، والماضي مَطويٌٌ بمغفرةٍ بعد توبة صادقة، فلا تيأس.

﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِاجْهَرُواْ بِهِ } إِنَّهُ، عَلِيمُ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (الله الله ١٣٠.

أي: أنت مكشوف، فالله تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَ وَأَخْفَى ﴿ اللهِ سورة طه/ ٧، يعلم جهرَك وعَلَانِيَتَك، ما تُعلنه وما تُخفيه عن الناس، ويعلم الذي لا تعلمه أنت، عَلِم ما كان، وعلِم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون.

يجب ألَّا تتخذ موقفًا تمثيليًّا مع الله أبدًا، فإذا وقفت موقفًا تمثيليًّا مع الله عزَّ وجل فإن الله يكشف كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ قَالُواْ ءَامَنَا وَإِذَا خَلَواْ إِلَى شَيَطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ مُولَا اللَّهُ يَسْتَهُ زِئُ مُ اللَّهُ يَسْتَهُ وَنَ اللَّهُ يَسْتُهُونَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَعَمْهُونَ اللَّهُ يَسْرَةَ البقرة / ١٤ – ١٥.

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُو اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ اللَّا ﴾ سورة الملك/ ١٤.

ألا يعلم الله تعالى مَن خلق؟ يزعجُك أحيانًا وجود إنسانٍ معك، أما الله فهو لطيفٌ، هو معكم أينها كنتم، دونَ أن تشعر أنه معك، خواطرُك يعرفُها، نواياك يعرفها، تفكيرك مكشوفٌ عندَه، نَوازِعُكَ، بَواعثُكَ، اَهدافك، تصرُّ فاتك، كلُّ شيء يَعْتلِجُ في نفسك اللهُ عزَّ وجل مطَّلعٌ عليه لكنَّه لطيف، قال تعالى: ﴿وَاعَلَمُواْ أَنَ اللّهَ يَعُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ عَلَيه سورة الأنفال/ ٢٤، وقال كذلك: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَجَوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلّا هُو رَابِعُهُم ﴾ سورة المجادلة/ ٧؛ لذلك متى ستنجو أنت؟ إن علمت أن الله يعلم، وأن الله معك، والله مطَّلعٌ عليك.. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا الله سورة الحديد/ ٤.

بعد هذا توجد آیــ أخرى تقول: ﴿ وَتَقَلَّبُكَ فِي ٱلسَّنِجِدِينَ ﴿ سَورة السَّعِراء / ٢١٩؛ يرى تقلُّبُك فِي الساجدين، يرى صلاتك، يرى ذِكْرَك، يرى إقبالك، يعلم مضمون كلامك، كلَّه في علمه.

فيا مناسبة (اللطيف الخبير)؟

الله معك، ولكنَّ وجودَه معك غيرُ مُحْرِجٍ؛ إنه لطيفٌ، فلذلك أحدُ أكبر دوافع المؤمن إلى طاعة الله استشعارُهُ أن الله معه، وأن الله يراقبه، وأفضل إيان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان، وأنه مُطَّلِع عليه، أيُّ كلمة تنطق بها يعلم الله صحَّتَها من كذبها، إخلاصَها من خيانتها، صوابَها من خطئها، خبير بها تفعل لكن دون أن تشعر، دون أن يكون هذا عبئًا عليك.

﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَآمَشُواْ فِي مَنَاكِمِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ - وَإِلَيْهِ ٱلنَّشُورُ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ مُورُ اللَّهُ اللَّهُ مُورُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللّ

هو أي: الله جلّ جلاله، ومعنى أن الأرض ذلولٌ أي: مُيسَّرة، فلو أنّ تُربَعَها صخريةٌ كيف يمكن لنا أن نزرعها؟ ولو أنها مُضطربةٌ كيف سنستقرُ عليها؟ وكيف سنبني؟ لو أن الماء كان غائرًا فكيف سنستخرجه؟ أو كان الحَرُّ لا يُطاق فكيف سنعيش على سطح الأرض؟ جوُّ الأرض مناسبٌ لنا، والهواء مناسب كذلك، نِسَبُ الأوكسجين إلى الآزوت هي نِسَبٌ متوازنة، وقد أودعَ اللهُ في الأرض الينابيعَ وأجرى الأنهار، فَتَّتَ التُّربة وجعلها صالحةً للزرع، خلق البذور وأرشد الإنسان إلى زرع النبات وإلى جني صالحةً للزرع، خلق البذور وأرشد الإنسان إلى زرع النبات وإلى جني شاره، أودع في الأرض فِلذاتِ المعادن، فلو أنَّ الحديد الذي يستخدمه الناس في كل شؤونِ حياتهم كان حديدًا صِر فًا فكيف نستخرجه؟ لكنه جعله مخلوطًا بالتراب نستخرجه فِلذات ثم نعالجه ونستفيد منه ونجعله حديدًا صر فًا.

فلو درست حجم الأرض ودورة الأرض حول نفسها وحول الشمس، ولو درست مَيل مجورِها، وبعدَها عن الشمس، وحرارتَها، لو درست قانون الجاذبية فيها، وطبيعة تُربَتِها، وطبيعة تضاريسها، وهواءَها وماءَها، وأنواع المخلوقاتِ فيها من حيواناتٍ برِّيَة، وبحرية، وحيوانات تحلق في الجوِّ، لو درست نظام الحياة فيها، ونظام الفصول، ونظام الليل والنهار، ونظام الشمس والقمر، لو درست الأرض لوجدْتَها مُهيَّأةً بشكل كامل للإنسان، فالله جعلها ذلولًا [لخدمة الانسان]. قال تعالى: ﴿ وَاللَّمْ وَضَعَهَا لِلَّانَامِ اللَّهُ سُورة الرحن / ١٠، أي: وضعها خِصِّيصًا لهذا الإنسان، فالله هو ﴿ الذّي خَلقَ فَسَوّى الله سورة الرحن / ١٠، أي: وضعها خِصِّيصًا لهذا الإنسان، فالله هو ﴿ الذّي خَلقَ فَسَوّى الله سورة الرحن / ٢٠، أي:

والنباتُ مُذلَّلُ، تقطفه وأنت مرتاح، كما أنه جعل الشجر المثمر متناسبًا مع طول الإنسان، وجعل الفواكه تنضج في أوقات مُتتابِعة، وجعل الفاكهة الواحدة تنضُجُ في شهرٍ أو شهرين لأنها لا تُخزَّن، فهذه آيةٌ واسعةٌ جدًّا.

آية النبات آية دالَّة على عظمة الله عزَّ وجل، من النبات تأكل، وتصنع الأثاث، وتصنع الله وتصنع الأصبغة، وتصنع الأدوية، أكثرُ الحاجات تُصنع من النبات؛ فهناك شجرٌ مصمَّمٌ للآلات، وشجر مصمم للصناعات الخشبية، أنواعٌ منوعة، حتى بعض الأبنية أساسها من الخشب إذا جاءه الماء توسَّع الخشب فكان متينًا، آيات الله لا تنتهي.

هذا القمح الذي تأكله، مَنْ جعله ينضج كله معًا في يوم واحد؟ لو أنه ينضج كما تنضج الفاكهة تِباعًا فكيف نحصده؟ سيكون حصادُهُ أمرًا شاقًا، فمن صمَّم هذا؟ الله جلَّ جلاله.

فحينها ترى بقرةً مُذلَّلةً وجملًا مُذلَّلًا وغنمةً ذليلة، فاسأل نفسك، من ذلَّلها؟ هَبْ أَنَّ الله ركَّب طِباعَ الحيواناتِ المفترسةِ في الحيوانات الأليفة، فكيف سننتفع بها؟؟

لو أنَّ هذا الماء الذي نشربه كان مِلْحًا أُجاجًا فكيف نشربه؟ كم يكلِّف تحلية اللتر منه؟ إنه يكلف أغلى من ثمن البنزين.

فمن يحلِّيه لنا؟ الله جلَّ جلاله، إن أصل هذه الأمطار من البحار، والبحار ولبحار ملح أُجَاجٌ، يموت الإنسان على سطح البحر عطشًا، فكم من باخرة غرقت، وكم من إنسانٍ على قارب النجاة مات عطشًا وهو على سطح البحر، وكذلك الماء المُقطَّر تقطيرًا كاملًا لا يصلح للشرب، لا بدَّ من بعض المعادن التي تُذاب في الماء بنِسَبِ دقيقةٍ جدًّا، فمَن الذي جعل هذه النِّسَب؟

الهواء مُسَخَّر ومُذلَلُ، تستنشقه أينها ذهبت بنِسَبِ دقيقةٍ جدًّا، فلو أن نسبة الأوكسجين في الهواء ارتفعت لاحترق كلُّ ما على الأرض لأقل شرارة، لكن نسبة الأوكسجين إلى الآزوت نسب متوازنة في الهواء.

﴿...فَأَمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا... ﴾ سورة الملك/ ١٥.

هذا أمرُ إباحة، وتعلمون أن الأمر في القرآن الكريم إما أن يكون أمرَ وُجوبٍ كما قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الرَّكُوةَ ﴾ سورة المزمل/ ٢٠، وإما أن يكون أمرَ نَدْبٍ [ما يطلب فعله دون إلـزام] كما قال تعالى: ﴿وَأَنكِمُوا الْمَيْكُم مِنكُرُ وَالصَّلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُم وَإِمَآيِكُم ﴾ سورة النور/ ٣٢، وإما أن يكون أمر إباحة في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَى يَتَبَيّنَ لَكُرُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِن الْفَجْرِ ﴾ سورة البقرة / ١٨٧، وإما أن يكون أمر تهديدٍ في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاسْرَاء / ١٨٧، وإما أن يكون أمر تهديدٍ في قوله تعالى: ﴿قُلُ ءَامِنُوا بِهِ وَقُلُهُ وَلَا تُؤُمِنُوا ﴾ سورة الإسراء / ١٠٧.

قال العلاء في معنى هذه الآية: تحرَّكوا، فالأرضُ مُذلَّلَةٌ لكم، وما عليكم إلا أن تسعَوا في مناكبها، ومناكبها أي: جبالها وجوانبها، وقيل: امشوا في جوانبها دون أن تغوصوا فيها.

﴿.. وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ } وَ إِلَيْهِ ٱلنَّشُورُ ١٥٠ ﴾ سورة الملك/ ١٥.

أي: إن الله - الذي خلقكم وسخَّر لكم كلَّ ما في الأرض - قادرٌ على أن يعيدكم خلقًا آخر ثم يحاسبكم عن كلِّ صغيرةٍ وكبيرة.

ثم يقول الله عزَّ وجل:

﴿ ءَ أَمِنهُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِي تَمُورُ ١١٧ ﴾ سورة الملك/ ١٦.

حينها يعصى الإنسانُ اللهَ عزَّ وجل فعلى أي شيءٍ يكون معتمِدًا؟

الزلازل:

كلكم سمع أخبار بعض الزلازل، بلدة مستقرة تعيش في بحبوحة، أبنية شاهقة، شوارع عريضة، أجهزة اتصال، خدمات رائعة، خسسُ درجاتٍ من الاهتزازات تجعلُ هذه المدينة قاعًا صَفْصَفًا لا تَرى فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا (مكان مرتفع أو رابية)، إذًا هذا الذي يأمن مكر (هنا بمعنى عقوبة) الله إنسان مغفّل، فبأيّة لحظة يمكن أن يصيب الزلزال أرضًا ما أو بلدة ما فتكون خَرِبة كَأَنْ لم تَغْنَ بالأمس، ﴿ فَإِذَا هِلَ مَنْ يَضُورُ ﴾ أي: تضطرب، يقال: زلزال أربعة ريختر، لا يحصل فَإذَا هِلَ النظر، وهؤلاء الناس شيء به، فليس هناك خسائر، ولكنه لفت للنظر، وهؤلاء الناس الذين غرقوا في المعاصي والآثام مَنْ يضمنُ لهم أن تبقى بيوتهم هي؟

وأخبار الزلازل كشيرة، فهناك زلازل ذهب ضحيتها مئات الآلاف من البشر في ثوانٍ معدودات، مدن، أبنية شامخة أصبحت على الأرض في ثوانٍ معدودات.

هذا قارون الذي قال كما ورد في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا أُوبِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمِ عِندِى ﴾ سورة القصص / ٧٨، ماذا فعل به الله سبحانه؟ قال تعالى: ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ سورة القصص / ٨٨، وهذا درسٌ بليغٌ لنا، فإياك أن تعزوها إلى الله عزّ وجل، فإياك أن تعزوها إلى الله عزّ وجل، إلى فضل الله، إلى رحمة الله، لا تقل: لقد أخذت احتياطاتٍ بالغة، فلا ينفع ذكاءٌ مع الله عزّ وجل ولا احتياطاتٌ؛ لأنَّ الحَذِرَ يُؤتَى من مَأْمنِه.

معاني مَن في السماء:

۱ - قدرته وسلطانه وعرشه ومملكته.

٢ - وقيل: خُصَّت الساء لا لأنَّ الله في الساء وحدَها، فهو في كلِّ مكان، بل لأن الناس يعظِّمون أهل الدنيا في الأرض فلُفِتَ نظرُهم إلى الساء، أي الملائكة الذين أوكل الله إليهم إنزال العذاب بالخلق أحيانًا.

٣- وقيل: سيدنا جبريل، وهو الملَك الموكَّل بالعذاب أحيانًا.

قد تُمطِر السهاء حجارةً، قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ اللهُ اللهُ أَبْرَهَة الذي تَرْمِيهِم بِحِجَارَةِ مِّن سِجِّيلٍ اللهُ أَبْرَهَة الذي أراد أن يهدم الكعبة، هذا كلَّه من:

﴿ أَمْ أَمِنتُم مَن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ اللهُ ﴿ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

النذير: هو المُنذِر، وهو النبي على الإنسان أحيانًا يتلقّى دعوة الأنبياء دون أن يبالي بها، يقرأ القرآن دون أن يقف عند أمره ونهيه، وعند حلاله وحرامه، ولكنه حينها تأتي المصائب يعرف أن الله سبحانه وتعالى كان قد أنذره فلم يستجب؛ الحقيقة أن دعوة الأنبياء أحيانًا تُصدَّق بعد أن يُحقَّق وعيدُ الله عزَّ وجل، لكن البطولة أن تؤمن بها قبل أن يأتي وعيد الله عزَّ وجل.

فرعون - وهو يرى الوعيد - قال كها ذكر القرآن: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَهُۥ لَا إِلَكَ إِلَّا ٱلَّذِي ءَامَنَتُ بِهِ بَنُواْ إِسْرَ عِيلَ وَأَنَاْ مِنَ ٱلْمُسَلِمِينَ ﴿ ثَا عَالَىٰ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿ ﴾ سورة يونس/ ٩٠- ٩١. من السهل أن يقرأ المرء وعيدًا في القرآن، وعلى سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَمْ تَغْعُلُواْ فَأَذَنُواْ بِحَرْبِ مِّنَ ٱللّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ سورة البقرة / ٢٧٩، هذا وعيد للمُرابِين [الذين يتعاملون بالربا]، لكن الإنسان قد يقرأ هذه الآية ولا يستجيب لله عزَّ وجل، أما حينما يُدمَّر مالُهُ كلَّه يؤمن يقينًا أن هذا الوعيد قد وقع، لكن الإيمان ساعتَئِذٍ لا قيمة له.

آيات القرآن الكريم مُترابطة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿كِنَبُ الْحَكَمُ مُترابطة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿كِنَبُ الْحَكَمُ مُنَافُهُ وَمِالَى الْحَكَمُ مُنَافُهُ مَنَافِي السَّمَآءِ أَن يَغْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِي تَعُورُ الله وتعالى حينها قال: ﴿ءَأُمِنتُم مَن فِي السَّمَآءِ أَن يَغْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِي تَعُورُ الله وسورة الله ك/١٦، أي: قد يأتي بالعذاب من تحت أرجلنا، (من الزلازل أو خسف الأرض).

لقد أهلك الله المكذّبين ودَمَّرهم، أما الآن فإن هذا الذي يعصي الله وهـو مطمئِنٌّ ثم لا يفكّر في أن يرجع إليه تائبًا، يقـترف المعاصي والآثام دون أن يعبأ بالمستقبل، فعلى أيِّ شيءٍ يعتمد؟

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨٠ ﴾ سورة الملك / ١٨.

يجب على الإنسان أن يستفيد من دروس الأمم السابقة، فالله سبحانه وتعالى كلَّما أرسل رسولًا لأمةٍ فكذَّبوا هذا الرسول أذاقهم العذاب الأليم، ينبغي أن نستنبط قانونَ أن الله سبحانه وتعالى إذا أنذرَ أَعْذَرَ، فانظر إلى قوم عادٍ كيف أهلكهم الله عزَّ وجل، وإلى قوم ثمودٍ، وإلى قوم تُبَّع، وإلى فرعون، كلُّ هذه الأمم التي كذَّبت أنبياءها استحقَّت الهلاك، ثم يُشير الله جلَّ جلاله إلى آيةٍ دقيقةٍ جدًّا، وهي قوله تعالى:

﴿ أُوَلَمْ يَرُواْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَنَفَاتٍ وَيَقْبِضَنَّ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّمْ ثَنَّ إِنَّهُ, بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرُ اللهِ الرَّمْ ثَنَّ إِنَّهُ, بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرُ اللهِ اللهِ ١٩٠.

لقد جعل الجـوَّ مُذلَّلًا للطبر يطبر فيه كيفها شاء، وطبرانُ الطبر آيةٌ عُظْمَى من آيات الله. إن أعظم طائرةٍ صنعها الإنسانُ حتى الآن تزيد سرعتُها عن سرعة الصوت وهي تبدو ساذجةً وسخيفةً أمام الطائر، طائرٌ يطير سبع عشرة ساعةً دون توقُّف!! طائر يطير أكثر من اثنين وعشرين ألف كيلو متر من الشال إلى الجنوب!! شيءٌ يحيِّر - حتى الآن - وليس له جواب، فقد جَهد العلماء خلال مئات السنين ليعرفوا كيف يهتدى الطائر إلى هدفه؟ هل عن طريق التضاريس؟ وجدوا أنه يطيرُ على سطح البحر من دون تضاريس.. يعرف هدفه عن طريق أشعة الشمس؟ وجدوا كذلك أنه يهتدي إلى هدفه من دون أشعة الشمس ليلًا.. في امن نظرية طُرحَت إلا وثبت بطلائهًا؛ لذلك يقول العلماء: هناك قوةٌ خفيةٌ توحي لهذا الطائر بخُطَّةِ سيره، لأن الطائر يقطع حوالي عشرين ألف كيلومتر، فلو أنه انحرف في طيرانه درجة واحدة، فمثلًا إذا كان عُشُّه في الشام وذهب إلى مصر، فلو انحرف نحو اليسار لذهب إلى العراق، البحوث عن الطبران شيء لا يُصدق، وهذا الطائر حينها يستنشق الهواء له آلة تعمل باستمرار، ولكن لا بدَّ لها من تبريد؛ لذلك الهواء الذي يستنشقه يتغلغل إلى كل أنحاء جسمه ليبرِّد عضلاته لأنه يطير باستمرار، فمن أودع في هذا الطائر قوة إبصار تزيد ثمانية أضعاف عن قوة إبصار الإنسان؟ السبب؟ لأنه يريد أن يأكل، ولا ينزل إلى الأرض ليأكل إلا وقد رأى طعامه على الأرض من فوق مسافاتٍ شاسعة في الجو؛ لذلك العلماء قالوا: «ليس هناك أي نظرية ثبتت عندنا في موضوع حركة الطائر في السماء إلا أن تكون هناك قوةٌ خفيةٌ تُلهِم الطائر». فطائرٌ ولِد حديثًا أُخِذ إلى شرق الأرض إلى أستراليا فلمَّا كبر عاد إلى بريطانيا، فها من فرضيةٍ وضعت لطيران الطائر إلا وثبت عكسها، لذلك الآن استسلم العلماء، الجواب هو هذه الآية:

﴿ أَوَلَمْ يَرُواْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَنَّفَّاتٍ وَيَقْبِضَنَّ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَنُ .. ﴾

سورة الملك/ ١٩، أي: صافات أجنحتها. أحيانًا يأتي فعلُ الله بواسطة، أحيانًا الإنسان يموت بحادث، وأحيانًا يموت مباشرةً بلا سبب ظاهر، أحيانًا أفعال الله عن وجل تبدو لناعن طريق سبب، وأحيانًا تبدوأفعال الله بلا سبب، فطيران الطائر وتحليقه في الأجواء وانتقاله من قارةٍ إلى قارة، ومن شهال الأرض إلى جنوبها، بلا بوصلة ولا توجيه.. أما رُبَّان الطائرة [الطيار] فكيف يقود الطائرة؟ هناك مسارات للطيران عن طريق محطّات في الأرض تبثُّ للطائرات أماكن طيرانها، والطيار دائمًا يعرف أين هو على سطح الأرض، فلا توجد طريقة ثانية، محطاتُ أرضية تبث للطائرات أماكن طيرانها، والميل؛ لأن معه رادارًا، معه أجهزة أماكن طيرانها؛ ولهذا الطيار يهتدي في الليل؛ لأن معه رادارًا، معه أجهزة أين هو إنذار، معه أجهزة تحكم، أما هذا الطائر هل يتلقى من أجهزة أرضية أين هو في السهاء؟ من يدلُّه على طريقه؟ ﴿إنَّهُ رِبُكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرُ لاكُ وسورة الملك/ ١٩.

آية الطبران وحدها من آيات الله الدالة على عظمته.

﴿ أُمَّنَ هَلَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُو يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْنَ إِنِ الْكَفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ١٠٠٠ سورة الملك/ ٢٠.

إن هذا الذي لا يعبأ بمنهج الله ولا يلتزم به ولا يفكّر حينها يتحرّك أهوعلى صواب أم على خطأ، يفعل ما يجوز وما لا يجوز، لا يأبه بكون ربّه راضيًا عنه أو ساخطًا؟ يتحرّك حركةً عشوائية وهمّه أن يستمتع بالحياة الدنيا دون أن يعبأ بخالق خَلَق وأمر ونهى، ولا يعبأ بمنهج قويم أرسله الله هداية للعالمين، يَعْصي الله ولا يعبأ بقصص الأنبياء السابقين، ولا بهلاك الأمم السابقة، هذا ما موقفه؟ لعله يعتمد على جند إذا جاء عذاب الله عزّ وجل يمنعون عنه هذا العذاب!! فهل الأمر كذلك؟ مستحيل!

أنت في قبضة الله:

نحن جميعًا في قبضة الله، ولو كنتَ مع أقوى الأقوياء من بني البشر، فهاذا يستطيع أن يفعل هذا القوي لو أن نقطة من الدم تجمَّدت في عروق الدماغ فشكَّلت خثرةً دماغية فأصابته بالشلل أوبالعمى أوبالصمم أوبفقد الذاكرة؟ ماذا يستطيع أن يفعل هذا القوي من أجلك؟ ﴿أَمَّنُ هَلَا الله، هذا اسمه استفهام إنكاري، ليس لكم جندٌ يحمونكم من عذاب الله،

 قالى تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمّ مَلِكَ ٱلْمُلُكِ ﴾ سورة آل عمران/٢٦، مَن يملكُ السمع والأبصار والأفئدة؟ من يملك الحركة؟ من يملك العقل في الرأس؟ إن الذي يفقد عقله يتوسط له أقرب الناس ليجعلوه في مستشفى الأمراض العقلية، فأنت لا تملك عقلك، ولا حركتك، ولا سمعك، ولا بصرك، ولا مَن حولك، ولا ما حولك.

إذا كنت تجترئ على الله عزَّوجل فمن هي الجهة في الأرض التي تستطيع أن تمنع عنك عذاب الله؟ من هي الجهة في الأرض التي تستطيع أن تَحُولَ بينك وبين أمر الله؟

مرَّة كنت عند طبيب، فجاءه اتصالُ هاتفي وقد سمعت بأذني ما يقوله المتصل، لقد كان يقول: أي مكانٍ في العالم أذهب إليه، وأي مبلغ أدفعه، فقال له الطبيب: والله لا يوجد أمل؛ فالمرض الخبيث في الدرجة الخامسة.. فهاذا يفعل المال؟ لا يفعل شيئًا.

الإنسان ضعيف، الإنسان في قوته وطغيانه وجبروته كلُّ حياته متوقفةٌ على نبضات قلبه، فلو توقَّف القلبُ فجأةً انتهى الإنسانُ مها كان قويًّا.

يب أن نأخذ هذه الآية ونطبِّقها تطبيقًا عمليًّا، كلُّ واحد منَّا إذا خرج عن منهج الله فها الذي يحميه من عذاب الله؟ ما الذي يحميه من قضاء الله؟ ما الذي يحميه من حكم الله؟ لا شيء، إذا جاء قضاء الله وقدره ما الذي يحميك؟ قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلُكُ صَفَّا صَفَّا اللهُ وَجَاءَ يَوْمَ إِذِ بِجَهَنَّمَ يَوْمَ إِذِ بِجَهَنَّمَ وَمَ إِذَ بِكَانِ اللهُ وَتَحْرَقَ وَمَ الله وَتَحْرَق خطَّ الاستقامة، سورة الفجر / ٢٢ - ٢٣ - ٢٤، أي: قبل أن تخالف منهجَ الله و تخترق خطَّ الاستقامة،

قبل أن تصل إلى معصية الله فكِّر هل هناك جهة تحميك من عذابه؟ وعذاباته لا تُعَدُّ ولا تُحصى، فالذي نسمع عنه أن الإنسان بأجهزته المعقدة، وأعضائه المعقدة، وتركيبه المعقد، هناك مليون خطر ينتظره في جسمه، مليون خطر ينتظره في بيته، في عمله، في سفره، في إقامته، فإن لم يكن على منهج الله، ولم يكن مطيعًا لله، ولم يحتم بحمى الله، ولم يستظل بظل الله، ولم يفتقر إلى الله فمن الذي يُنجِدُه؟ من الذي يُنقذه؟ مَن الذي يحميه؟

﴿ أَمَّنَ هَلَا ٱلَّذِى هُوَ جُندُ لَكُو يَنصُرُكُو مِن دُونِ ٱلرَّحْمَنَ ۚ إِنِ ٱلْكَفِرُونَ إِلَا فِي غُرُورٍ ۞﴾ سورة الملك / ٢٠.

غرور الكافرين:

الغرور هو أن تتوهم شيئًا لا أصل له، فالإنسان أحيانًا قد يرى عُلْبَةً ثمينة فيظن أن بها شيئًا، فإذا فتحها لم يجد فيها شيئًا، فنقول: إنه قد اغترَّ بها، كما أنه قد يُعطي بعض الأشياء حجمًا كبيرًا فإذا تعمَّق فيها لم يجدها شيئًا، فالمال مثلًا، الإنسان يظنه شيئًا عظيمًا في أول حياته، أما في منتصف حياته فيظنه شيئًا ولكن ليس كلَّ شيء، ثم حينها تنكشف الحقيقة يراه ليس بشيء، وهكذا كل حظوظ الدنيا.

أي إن الكافر والمشرك والجاحد لا يوجد لديه إلا حلُّ واحد، فإما أن تعرف الحقيقة أو أن تجهلها، فإن عرفت الحقيقة تأدَّبتَ مع الله والتزمت أمر الله وبادرت إلى طاعة الله وكنت مستسلمًا لله، واعتمدت عليه وحده، فالمؤمن لا يعتمد لا على ماله ولا قوَّته ولا على ذكائه.

أيُّ شيءٍ نعتمد عليه سوى الله يزيحه الله من تحتنا من أجل أن نتَّعظ، وهذا من محبة الله وتربيته لنا، وذلك من أجل أن نُقْبِل عليه ولا نغتر.

إن الكافر الذي استغنى عن طاعة الله مغرور، وكل من اعتمد على غير الله فهو مغرور، فقد تعتمد على شخص قوي يتخلى عنك في أحرج الأوقات وأصعبها؛ لأنك كنت مُغْتَرًّا به، قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعَدَ ٱللَّهِ حَقُّ فَلَا تَغُرَّنَاكُمُ الْحَيَوةُ ٱلدُّنِكَ وَلَا يَغُرَّنَاكُم بِاللَّهِ ٱلْغَرُودُ ﴿ فَا سُورة فاطر/ ٥.

قد تعطي الدنيا حجمًا أكبر من حجمها بكثير؛ فأنت مغترٌ بها، وقد يأتي الشيطان فيوسوس فتصدِّق فكان الشيطان هو الغَرور، أي: هو الذي أغرَّ الإنسان وغرَّر به.

﴿ أُمَّنَ هَاذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُو إِنَّ أَمْسَكَ رِزْقَةً ، بَلَ لَّجُّواْ فِ عُتُوِّ وَنُفُورٍ ١٠٠٠ سورة الملك/ ٢١.

البقاء والرزق بيد الله وحده:

أما في ما يتعلق بالرزق، فالإنسان حريصٌ على شيئين: على بقائه، وعلى رزقه، أما بالنسبة لبقائك فأنت حيٌّ تُرزق لأن الله شاء لك أن تبقى حيًّا، فإذا أراد الله شيئًا وقع، وكل شيءٍ أراده الله وقع، وكل شيءٍ وقع أراده الله، فالرزق أصله من عند الله عزَّ وجل.

بعض البلاد في إفريقيا أصابها الجفاف سبع سنواتٍ متتاليات فهلك كل شيءٍ، أحيانًا يصل صقيع إلى محصول أساسي فتبلغ الخسارة ملايين، فالله هوالرزَّاق.

كل واحد منّا له عمل، فهو في عمله مادام له هذه الإمكانات، إمكانات العمل، فلو فقد عقلَه فجأةً انتهى عمله، وكل واحد الله عزّ وجل يسّر له عملًا لأن عنده قدرات وإمكانات، فهذا عمل في التعليم، وهذا عمِل في الطبّ، وهذا في الطبّ، وهذا في الطبّ، وهذا في الطبّ، وهذا في المندسة، هذا في الصناعة، هذا في التجارة، هذا

في الزراعة، هذا في الخدمات، ولو لا أن الله سبحانه و تعالى أعطاك بعض القدرات التي توظّفُها في كسب الرزق، ووَفَقك بعد ذلك لما أتقنت شيئًا، وكل واحد منّا له مكان يأوي إليه، له طعامٌ يأكله، له بيتٌ يدخله مساءً، فلو لا أن الله تفضّل علينا لما أمكننا أن نكسب أرزاقنا، فالحمد لله.

شيء آخر: لو أن الإمكانات التي أو دعها الله في الإنسان سُلبت، فلو كان هناك إنسان يملك مكانة رفيعة وعملًا جيدًا ففقد بصره فجأةً، طبعًا إنه سيُسرَّح من عمله؛ فهناك مصالح أساسها البصر، ومصالح أساسها اليد، يقول الله عزَّ وجل:

﴿ بَلِ لَّجُّواْ فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ سورة الملك/ ٢١.

أي: اضطربوا، لجوّا: ضجروا، فالإنسان المؤمن يتلقَّى أمر الله عزَّ وجل، لذلك قال وجل بالرضا والقبول، أما الكافر فيرفض أمر الله عزّ وجل، لذلك قال العلااء: «هناك معصيةٌ أساسها الكِبر»، فالكافر هو الذي يُعانِد الحق ويستكبِر عن أن يطيع الله عزَّ وجل.

العُتُوُّ: العِناد، أي: إن نفوسهم ابتعدت عن منهج الله عزَّ وجل، فهناك من يحب أمر الله، ويحب طاعة الله، ويحب أن يقوم بشعائر الله عزّ وجل، وهناك من يرفض هذا كلَّه. ثم يقول الله عزَّ وجل:

﴿ أَفَهَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ ۗ أَهَٰدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٣) السورة الملك/ ٢٢.

قال تعالى في آيات أخرى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كُمَن كَاكَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَاكَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَاكُ مَن السورة السجدة / ١٨، ﴿ أَفَنَجَعَلُ المُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿ آَنَ السورة القلم / ٣٥، ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَهُ وَعَدًا حَسَنَا فَهُوَ لَقِيهِ كَمَن مَنْعَنهُ مَتَعَ الْحَيَوْةِ اللَّهُ نَيا اللَّهُ مَن وَعَد نَهُ وَعَدًا حَسَنَا فَهُو لَقِيهِ كَمَن مَنْعَالُهُ مَتَع الْحَيوْةِ اللَّهُ نَيْ اللَّهُ مُو يَوْمَ الْقِيمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿ آَنَ ﴾ سورة القصص / ٢١، ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ

اَجْتَرَحُواْ السَّيِّعَاتِ أَن نَجْعَلَهُ مَ كَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ سَوَآءً مَعْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ مَّ الصَّلِحَتِ سَوَآءً مَعْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ مَّ سَاءَمَا يَعْكُمُونَ اللَّهِ سورة الجاثية / ٢١، لا يستوي الأحياء ولا الأموات، لا تستوي الظلمات ولا النور، ولا الظل ولا الحرور، ولا الأموات، لا تستوي الظلمات ولا النور، ولا الظلل ولا الحرور، وأفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَانَتَ تُنْقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ الله سورة الزمر/ ١٩.

هنا: ﴿ أَفَنَ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجُهِدِ ٢٢. ﴾ سورة الملك/ ٢٢.

معاني ﴿مُكِبًّا ﴾:

1 – المعنى الأول: الطريق غير الصحيح، طريق وَعِرٌ فيه مرتفعات ومنخفضات وأشواك وحُفَر، فطريق الباطل طريتٌ وَعِرٌ فيه ألغامٌ كثيرةٌ جدًّا، وكل معصية فيها بذور نتائجها، فالمعصية عدوان، عدوان على حق الله، عدوان على الناس، فالإنسان إذا تفلَّت من منهج الله يكون كمركبة خرجت عن الطريق المعبَّد إلى طريقٍ كلُّها أحجار وصخور وحفر وأوحال، فالدي يمشي على غير منهج الله عزَّ وجل يمشي مُكِبًّا أي: يمشي في طريقٍ وعرةٍ تستلزم أن يقع.

٢ – المعنى الثاني: إذا أغمض الإنسان عينيه وقع، وإذا مشى في طريقٍ وعرةٍ وقع، وحينها ينقطع الإنسان عن الله عزَّ وجل يفقد رؤيته الصحيحة، فها دُمت متصلًا بالله فهناك رؤيةٌ صحيحة تهديك إلى سواء السبيل، وهذا معنى الدعاء الوارد عن بعض من تقدَّم: «اللَّهُمَّ أَرِنا الحقَّ حقًّا وارزُقنا اتباعَهُ، وأَرِنا الباطل باطلًا وارْزُقنا اجْتِنابَهُ».

طريق الحق وطريق الضلال:

هناك من يرى الحقَّ باطلًا، وهناك من يرى الباطلَ حقًّا..

لم يقل الله عزَّ وجل: أفمن يمشي مكبًّا على صراطٍ غير مستقيم، لا .. لأن هذا الذي يتحرَّك بلا منهج يتحرَّك بعيدًا عن أيِّ طريق، لا سيها الطريق المرسومة المعبَّدة المسهَّلة الممهدة، أما الإنسان إذا خرج عن منهج الله فلا يُسمى هذا الخروج طريقًا، فقد صار في أرض وعرة ليست طريقًا، فالآية دقيقة: ﴿أَفَنَ يَمْشِي سُوِيًّا عَلَى وَجَهِمِ عَلَّا مَنَ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَطِ فَالآية دقيقة: ﴿أَفَنَ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَطِ فَالْسَالِهُ ٢٢.

سُوِيًا: أي: رافع الرأس ليرى (مستوياً)، ثم إن الطريق ممهّد، إذًا يوجد هنا شيئان، فعوامل التعشُّر إما العمى وإما وعورة الطريق.

المؤمن يحيا على بصيرة:

جمال حياة المؤمن وروعتها هي أنَّ كل شيءٍ في حياته له حكمٌ شرعي، هــذا يجوز وهذا لا يجوز، هذا يفعله وهذا لا يفعله، فأيُّ شيءٍ في حياته إما مباح، أو محرَّم، أو فرض، أو واجب، أو سـنَّة، أو مستحَب، أو مندوب، (مــا يطلب فعلــه من غير إلزام) أو مكروه كراهــةً تنزيهية أو تحريمية، فهو

يمشي على منهج، ومنهج الله عزَّ وجل دقيقٌ جدًّا يُغَطِّي كل أحواله من دون استثناء، في أخصِّ خصوصيَّاته، في أخصِّ العلاقة بينه وبين أهله، بينه وبين أولاده، بينه وبين جيرانه، مع مَن فوقه، مع من دونه، مع من من فوقه، مع من دونه، مع من هم في مستواه، في عمله وفي الطريق، في السفر وفي الحضر، في العلاقات العامة، في العلاقات الدولية، فهو شرعٌ كامل؛ قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكُمَلْتُ لَكُمُّ وَيَنَكُمُ وَأَمَّمَتُ عَلَيْكُمُ فِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَمَ دِينًا ﴾ سورة المائدة/٣.

فهل كل إنسان قال: «لهذا الكون إله عظيم» يكون مؤمنًا؟ هذا الإيمان لا يكفي، فإبليس اللعين قال: ﴿فَبِعِزَنِكَ لَأَغُوبِنَهُمُ أَجْمَعِينَ ﴿مَا الإيمان لا يكفي، هذا إيمان إبليسي، سورة ص / ٨٢، هذا إيمانٌ، ولكن هذا الإيمان لا يكفي، هذا إيمان إبليسي، لذلك الإنسان حينها يبلغ في الإيمان درجةً تحمِله على طاعته، فلا شيء أَحْوَج إليه من أن يعرف منهجه.

أهمية المنهج:

الإنسان عندما يفكِّر في طاعة الله فإنه يحتاج إلى منهج يمشي عليه، وحينها تتنامى قناعاته وينمو إيهانه يكون قد دخل في المرحلة المدنية، فأصحاب النبي عليهم رضوان الله عاشوا في مكة مرحلة مكِّيَّة [مرحلة الإيهان بالله وتثبيت العقيدة]، فلمَّا انتقلوا إلى المدينة دخلوا في مرحلة التشريع.

على الإنسان أن يتفكر في الكون، يتفكّر في السهاوات والأرض، يتفكّر في السهاوات والأرض، يتفكّر في خلق، يتفكّر في طعامه وشرابه، مِهَ خُلِق؟ إلى أن يقتنع ويقول: لهذا الكون إله عظيم لا بدَّ من طاعته، والآن بعد أن يحمِلك إيهانك على طاعة الله، وبعد أن تعقد العزمَ على طاعة الله ليس هناك شيءٌ أنت في أمسِّ الحاجة إليه إلا أن تعرف منهج الله؛ لذلك فمعرفة الأحكام الشرعية جزءٌ أساسٌ من الدين، لأنك بالكون تعرفه،

لكن بالسرع تعبده، ألم يقل الله عزّ وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا وَرَبُكُمُ ﴾ سورة البقرة / ٢١؟ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنْ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيعَبُدُونِ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنْ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيعَبُدُونِ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنْ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيعَبُدُونِ ﴿ وَ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنْ وَالنّارِيات / ٥٠؟ فكيف أعبده ؟ علّة وجودنا على هذه الأرض أن نعبده، فلا بدّ من معرفة أمره، لذلك كل إنسان لا بد من أن يعرف منهج الله في حياته، كل إنسان في بيته يجب أن يعرف أحكام الزواج، حقوق الزوج، تربية الأولاد، حقوق الوالدين، حقوق الجيران، والتاجر يجب أن يعرف أحكام البيوع والشراء، صحّة البيع؛ من أجل أن يعبد الله.

فلذلك كان في الدين شيئان أساسيان: معرفة الله وطاعته، فإن فعلت ذلك فإنك تسعد بقربه، والدين كله عبارة عن كليات ثلاث:

أ- جانب معرفي.

ب - جانب سلوكي.

ج – جانب جَمالي.

فالمعرفي هو السبب، والسلوكي هو الأصل، والجمالي هو الثمرة، إذًا لا بدَّ من أن نعرف منهج الله. فإذا كانت القضية فيها أمر إلهي قطعي أو أمر نبوي قطعي فلا بد من طاعة هذا الأمر، أما حينها تأخذ هذا الموضوع وتضعه على بساط البحث وتدرسه، تأخذ به أو لا تأخذ به، فإن قَنِعْتَ به تأخذه، فاعرف عندئذ أنك لست مؤمنًا، فحينها تأخذ أمرًا إلهيًّا، أمرًا قرآنيًّا، أو أمرًا نبويًّا و تُخضعه للدراسة العقلية تأخذ به إذا قنعت به، ولا تأخذ به إن لم تقنع به فَصِفْ نفسَك بأنك لستَ مؤمنًا، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا

كَانَ لِمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿ اللَّهُ عَالَهُ مَا اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِمِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَ

الحرامُ حرام، والمُباح مباح، والفرض فرض، والمندوب مندوب، والمستحب مستحب، المكروه مكروه، والمحرَّم محرَّم، هذا هو المؤمن، والمستحب مستحب، المكروه مكروه، والمحرَّم محرَّم، هذا هو المؤمن، وهذه العبادة لله عزّ وجل، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «ثَلاثُ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللهَ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» البخاري عن أنس بن مالك.

قد تتألَّقُ الدنيا أمامك، لكن الطريق الذي تسلكه إليها طريق غير صحيح، هذه الدنيا عليك أن تركُلها بقدمك لأنك مؤمن، فالدنيا كلّها تحت قدمك أمام طاعة الله عزّ وجل.

لذلك كانت رتبة العلم أعلى الرُتب، وكان الوقت الذي تُمضيه في معرفة الله ومعرفة أمره ونهيه هو أخطر وقتٍ في حياتك، فليس هناك شيءٌ في الحياة الدنيا يعلو على أن تعرف الله وتعرف أمره ونهيه؛ لأنك تسعد بطاعة الله وتشقى بمعصيته، وما من مشكلةٍ على وجه الأرض وفي كل الأزمان إلا بسبب معصيةٍ لله، وما من معصيةٍ لله إلا بسبب جهلٍ بأمره ونهيه.

هذا هو المؤمن، رافع الرأس، صحيح الرؤية، والطريق أمامه معبَّد.

أوضح لكم مشلًا: اركب مركبةً جديدةً على طريقٍ معبَّدةٍ جيدةٍ، إنك لا تسمع لها صوتًا، لكن هذه المركبة لو نزلتَ بها إلى طريقٍ وعرةٍ لكسَّرتها؛ لأن هذه المركبة ليست لهذه الطريق، بل لطريقٍ معبَّدة، وإنَّ بُنْيتك، ونفسيتك، وفطرتك، وجسمك، وكل إمكاناتك مصممة بمنهج

الله، فالإنسان عندما يتزوَّج، وعندما يؤدي العبادات، يضبط لسانه، يضبط سمعه، يضبط بصره، يضبط يده، يضبط رجله، يتحرك وفق منهج الله، عندها يسعد، فالحياة جميلة جدًّا في طاعة الله، والحياة مريرة في معصية الله، والدليل الله عزَّ وجل يقول: ﴿ وَمَنْ أَعُرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ سورة طه/ ١٢٤، مَنْ: اسم شرط، والشرط في الأساس حَدَثان لا يقع الثاني إلا إذا وقع الأول، يوجد ترابط حتميٌّ بينها، فإذا قرأت في القرآن جملة شرطية مُصَدَّرة بمَنْ الشرطية فمعنى هذا أنه قانون.. لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآية لكفت.

آية ثانية: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنُ فَلَنُحْيِيَنَهُۥ حَيْوَةً طَيِّبَةً ﴾ سورة النحل/٧٩.

رغم أنفِ كلِّ الظروف، رغم أنف كل العقبات، رغم أنف كل المُشكلات.. سيمنحه الله حياةً سعيدةً.

آيةٌ ثالثة: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّعَاتِ أَن بَعَعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَتِ سَوَآءَ ﴾ سورة الجاثية/ ٢١، تقول: هذا في الآخرة؟ لا إنها في الدنيا والآخرة حيث قال: حيث قال: ﴿ سَوَآءَ مَعَيّاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَمَا يَعُكُمُونَ اللّهُ سُورة الجاثية/ ٢١.

هـذا كلام ربِّنا، هذا كلام خالِق الكون، جرِّبْه، لا يمكن أن يُعامَل المحسِنِ كالمسيء، فالشاب المستقيم لا يمكن أن يُعامَل كالمُنحرِف، والإنسان الأمين لا يُعامَل كالخائن، والصادق لا يُعامل كالكاذب... مستحيل؛ كلُّ شيء بثمنه، والثمن باهظ، هذا كلام رب العالمين.

وعلى مُستوى المسلمين كذلك، فعندما يرون أعداءهم بغطرسة واستعلاء وانحراف فلا بدَّ من أن يُظْهِر اللهُ آياتِه فاطمئنوا، مها تغطرس العدو، مها تكبَّر فلا بدّ لله عزّ وجل من أن يظهر آياته الدالة على عظمته.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى آَنَشَا كُرُ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَنَرَ وَٱلْأَفَئِدَةً قَلِيلًا مَّا تَشَكُرُونَ ﴿ اللَّهُ عَلَا مُعَا لَكُمُ وَالسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَنَرَ وَٱلْأَفَئِدَةً قَلِيلًا مَّا تَشَكُرُونَ ﴿ اللَّهُ ﴾ سورة الملك / ٢٣.

أي: أطيعوا الله الذي يستحق الطاعة، وسيروا على منهجه الذي فطركم عليه فهو المنهج الصحيح.. هناك طاعات لغير الله، وتوجد مناهج غير منهج الله.

الفؤاد إذا جاء منفرداً أو مع السمع والبصر يعني العقل، أي أعطاك سمعًا تتعلَّم به الحق، وعينًا ترى بها الآيات، وعقلًا يُحاكِم ويصل للحقيقة، فأنت من الممكن أن تؤمن بالله من خلال عينيك، ترى بها آياته الظاهرة، وتعرف منهجه من خلال أذنيك، وتُصدِر أحكامًا صحيحة من خلال عقلك، أي: إن الله أعطاك قوة إدراكية، فأنت مخلوق تدرك، فهذه الطاولة، الخشب فيها خلقه الله عزّ وجل، ولكن الخشب لا يُدرِك، الحجر لا يُدرِك، الحديد لا يُدرِك، الحيوان لا يُدرِك، مَيَّزَكَ الله على كل المخلوقات بأن جعلك مُدرِكًا.

كيف نشكر نِعَم الله؟

كيف نشكر نعمة السمع، ونعمة البصر، ونعمة العقل؟ قال العلماء: نشكر نعمة السمع بأن نوظّفه في ما خُلِق له. كيف نشكر نعمة العين؟ بأن نرى بها الآيات لا العورات من خلال القنوات الفضائية أو غيرها. كيف نشكر نعمة العقل؟ بأن نُعْمِلَهُ في ما خُلِق له بالتفكُّر في خلق السهاوات والأرض.

١ - السمع وأداته الأذن:

إن حاسة السمع من أدقِّ الحواس، وحتى هذه اللحظة لا نعرف كيف يستطيع الإنسان أن يفرق بين النغم والضجيج، فكلاهما صوت، وكلاهما موجاتٌ صوتية وتبدلاتٌ في الوسط المَرن الذي هو الهواء، فلولا الهواء لما كان هناك صوت، وروَّاد الفضاء وهم على سطح القمر يتخاطبون باللاسلكي، فليس هناك صوت بسبب عدم وجود الهواء على سطح القمر، فمن خلق الهواء؟ إن هذا الوسط المرن إذا أحدثت فيه اضطرابًا انتقل هذا الاضطراب إلى أذنك، ومن نعم الله علينا أن هذا الاضطراب يتخامَد (يهدأ ويسكن)، ولولا أنه يتخامد لسمعت كل هَيَجان البحار، كلَّ ضجيج المعامل، كلَّ أصوات الرُّعود في الأرض، فلو لا أنَّ الموجة الصوتية تتخامد لكانت حياتنا جحيمًا لا يطاق، إنك إذا ألقيت حجرًا في ماءٍ راكد رأيت حلقاتٍ تتباعد، فقد حدث اضطراب في هـذا الوسط المرن فانتقلت أمواج الماء متناميةً، كذلك الصوت في الهواء، فمَن الذي خلق هذين الصيوانين (في الأذنين) بتعاريجها واتجاه سطوحهما واختلاف أشكالهما؟ إنها المسؤولان عن التقاط الصوت من كل الجهات، وهذا الصيوان من أبدع ما صنع اللهُ عزَّ وجل، فحينما يلتقط هذا الصيوان الأصواتَ من كل الجهات يسوقها إلى قناة الأذن حيث تصطدم بغشاء الطبل، وهذا الغشاء المرن – غشاء الطبل – ترتبطُ به عُظيات السمع، وعظيات السمع تكبِّر الصوت حتى عشرين مرَّة، فإذا كان الصوت فوق الحد المعقول تخفُّضه حتى عشرين مرَّة، ونحن لا نعلم في عالم الآلات آلةً واحدة تكبِّر وتخفِّض في آنٍ واحد، ثم ينتقل هذا الصوت في دهاليز حلزونية فيها أربعون ألف قوس سمعي، هذه الأقواس مرتبطة بالعصب السمعي، إلى أن تصل إلى القنوات وإلى الأذن الداخلية، وعندئذٍ يقف العلم عاجزًا عن فهم كيف أننا نَطْرَبُ للنغم ونضجر من الضجيج وكلاهما صوت.

ثم إن هذه الأذن تنقل هذا الإدراك إلى الدماغ، والدماغ يفسِّر ويدرك، وهناك ذاكرةُ سمعية، فهذه الأذن هي الحاسَّة الأولى التي نعتمد عليها في الليل.

الإنسان يرى بعينه إلى أن يأتي حاجز يمنع الرؤية، فإذا كنت في غرفة فإنك ترى ما في الغرفة فقط، وإذا كنت قابعًا في البيت فإن أذنك تُعَطِّي كل البيت، فأي حركة وقعت في غرفة أخرى أو خارج البيت تصل إلى أذنك، وبالأذن تغطي المكان الأوسع ولو كان هناك حواجز تمنع وصول الصورة. ﴿ قُلُ أَرْءَ يَتُمُ إِن جَعَلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ اليَّلَ سَرِّمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيمَةِ مَنْ إِلَكُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ السمع الحاسة الأولى في الليل، ﴿ قُلُ أَرَءَ يَتُمُ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَ عَلَيْكُمُ النَّهُ الله الله الله عَلَيْكُمُ الله عَلَيْكُمُ النَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهُ عَلَيْكُمُ الله عَلَيْ الله عَلَيْكُمُ الله عَلَيْكُمُ الله عَلَيْتُ الله عَلَيْكُمُ الله المَالِ الله عَلَيْكُمُ الله الله عَلَيْكُمُ الله الله عَلَيْكُمُ الله عَلَيْكُمُ الله عَلَيْكُمُ الله عَلَيْكُمُ الله عَلَيْكُمُ الله الله الله الله عَلَيْكُمُ الله عَلَيْكُمُ الله عَلَيْكُمُ الله المَلِي الله المَلْعُلُولُ المُنْ المَلْعُولُ المُلْعُ

ولكن السمع له هدف أكبر وأجل، وهو أن تستمع إلى الحق، فاللغة أرقى أداة اتصال بين أفراد النوع، فإذا كان هناك إنسان يتكلَّم ومجموعٌ كبير يُصغي، فهناك اتصال بينه وبينهم، وهذا الاتصال أداتُه اللغة، واللغة مقاطع صوتية يعبَّر بمقتضاها عن الفكر وعن الشعور، قال ربنا عزَّ وجل عن اللغة: ﴿الرَّمْنُ نُ عَلَمَ الْقُرْءَانَ نَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَمَ اللهَ عَن اللغة عَن اللغة المُحَلِينَ عَلَمَ اللهَ عَن اللغة المناز، اللغة المناز، الله المسموع، وبالكلام تفهم النصَّ المقروء، وبالكلام تعبِّر عن أفكارك وعن مشاعرك مشافهة، وبالبيان تعبِّر عن أفكارك وعن مشاعرك مشافهة، وبالبيان تعبِّر عن أفكارك

ومشاعرك كتابة، فهناك أربعة نشاطات؛ قراءةٌ وسماع، وكتابةٌ ونُطْق، أما بالكتابة فتنتقل المعارف من جيل إلى جيل، وبالترجمة من أمةٍ إلى أمة، فمعارف البشر متراكمة، لذلك قال بعضهم: «ثقافة أيّة أمّة هي بمثابة عسل استخلِص من زهرات مختلف الشعوب على مرّ الأجيال». فبالترجمة واللغة تنتقل المعارف من جيل إلى جيل ومن أمّة إلى أمّة.

٢ ـ البصر وأداته العين:

أما العين فقد حارَ فيها الأطباء، فالعين فيها قرنية، والقرنية غلاف شفاف سَـيًاه الأطباء غلافًا نبيلًا، بمعنى أن الغلاف النبيل لا تعترضه أوعيةٌ دموية، فلو أن القرنية تتغذى كبقية خلايا الجسم لرأيت الأشياء من وراء شبكة، ولكانت الرؤية غير واضحة، فلا بدُّ من شبكة أوعيةٍ تغذِّي القرنية، لكنْ لأن القرنية يجب أن تكون شفافةً مئة في المئة فإن الله قد جعل خلايا القرنية من النوع النبيل، فكل خليةٍ تأخذ الغذاء إلى أختها دون أن تُمَدد أوعية بين الخلايا، هذا بالنسبة للقرنية، بعدئذٍ تأتي القُزحية، وتأتي العدسة المرنة التي حار فيها الأطباء، لأن الشبكية هي التي تنعكس عليها الخيالات والصور بواسطة العدسة، والشبكية ثابتة، والمسافة ثابتة، فكيف تقع الأشياء بحركتها العشوائية على الشبكية؟ لا بـدَّ من تغيير شكل العدسة، ففي العين يتغير شكل العدسة من احتداب شديد إلى احتداب قليل، فمن الذي يُعطى الأمر أن يزداد الاحتداب واحدًا بالألف من الميكرون كي يقع الخيال على الشبكية أثناء مشاهدتك لكرة تتحرَّك في ملعب أو لسيارةٍ تنطلق من مكانٍ إلى آخر؟ وهذا ما يسميه العلماء: المطابقة، وهي شيءٌ تحاربه العقول؛ فشبكية العين مؤلفةٌ من عشر طبقات: الطبقة الأخيرة فيها مئة وثلاثون مليون مخروط، هذه المخاريط تنتهي إلى العصب البصري الذي هو تسعمئة آلاف عصب ينتقل إلى الدماغ كي تُقْرأ الصورة.. سبحان الله!!

العين من آيات الله عز وجل الدالة على عظمته، فبالعين ترى الشيء بحجمه الحقيقي، وبألوانه الطبيعية، وأوضح دليل على ذلك أنك إذا نظرت إلى مئة رجل ترى كل واحد بلون، فالعين البشرية السليمة تميز بين درجتين من ثمانمئة ألف درجة للون الواحد، فترى الأشياء بحجمها الحقيقي وبألوانها الدقيقة، وتراها مباشرة من دون وقت لإظهار الصورة.

والشيء الذي يُحير العقول هو: لماذا جعل الله للإنسان عينين وجعل له أذنين؟ لأن الله عزَّ وجل لو خلق لك أذنًا واحدة لما عرفت جهة الصوت، فلو كنت بأذن واحدة وسمعت بوق سيارة من خلف فتقترب منها وأنت تحاول الابتعاد عنها فتدهسُك، لكن هناك جهازًا في الدماغ يحسب تفاضل وصول الصوتين إلى الأذنين، والتفاضل بين الصوتين يقدُّر بواحد على ألف وستمئة وعشرين جزءًا من الثانية، والدماغ يعرف عن طريق التفاضل جهة الصوت، فيعطى أمرًا إلى العضلات للتحرك بعكس جهة الصوت، فأنت بالأذنين تعرف مصدر الصوت، وبالعينين تدرك البعد الثالث، وبعينِ واحدة ترى الأشياء مُسَطَّحة، وإنك لن تستطيع بعينِ واحدة أن تضع الخيط في الإبرة، قد تحاول هذا، ولكنك لن تستطيع بسبب وجود عشرة سنتمترات بينها، أما بالعينين فإنك ترى العمق، ترى البعد الثالث، فإن الصورة التي تراها العين الأولى تنطبع في مكان في الدماغ، وصورة العين الثانية تنطبع في مكان منزلق عنه، وهذا الانزلاق يشكِّل البعد الثالث، فأنت ترى الطول والعرض والعمق بالعينين.. سبحان الله!! قال تعالى: ﴿ أَلَوْ نَجُعَل لَهُ مُعَيْنَيْنِ ﴿ ﴾ وَلِسَانًا وَشَفَنَيْنِ ﴾ سورة البلد/ ٨-٩.

إذًا أشياء كثيرة يمكن أن تُقال عن العين، فالذي خلق العينين يراك، والذي خلق لك الأذنين يسمعك، ويسمع صوت نفسك، يسمع خواطرك، يسمع ما تدور به أفكارك، أنت أمام الله مكشوفٌ، قال تعالى: ﴿ أَيَعْسَبُ أَن لَنَ يَقُولُ أَهْلَكُتُ مَا لَا لَبُدًا اللَّهُ ا

٣ ـ الدماغ والذاكرة:

إن أعظم شيءٍ في الكون هو الدماغ، هناك مئة وأربعون مليار خلية في الدماغ، إن هذه الخلايا لم تُعرَف وظيفتُها بعد، فالدماغ عاجزٌ عن إدراك ذاته وكيف تعمل هذه الخلايا، فيها التخيّل والتصوّر والمحاكاة والذاكرة، فيا هي هذه الذاكرة؟

ذاكرة إنسان يعيش ستين عامًا تقريبًا، فيها سبعون مليار صورة، ما بين الصور السمعية، والصور البصرية، والصور الشميّة، وهناك ذاكرة للأصوات، فأي إنسان يتصل بك بالهاتف يقول لك: أعرفتني؟ تقول له: فلان، والشيء الذي يحيِّر العقول أن كل إنسان انفرد بنبرة ذات صورةٍ خاصَّة؛ وذلك لكرامته على الله، ففي الأرض يوجد سبعة آلاف مليون نبرة صوت، وتوجد سبعة آلاف مليون نبرة صوت، وتوجد سبعة آلاف مليون نبرة صوت، وتوجد في الأرض يشبهك في الرائحة خاصَّة بكل واحد منهم، فليس هناك إنسان في الأرض يشبهك في الرائحة، وهذا أساس عمل الكلاب البوليسية، في الأرض يشبهك في الرائحة، وهذا أساس عمل الكلاب البوليسية، يُعطى قطعةً من لوازم المجرم فيبحث عنه بين مئة ألف رجل، فإذا

اشتم الرائحة نفسها عرف أن هذا هو المجرم، فالإنسان ينفر د برائحة جلد خاصّة، وينفر د بنبرة صوتٍ خاصة، وينفر د بقُرحية عين لا يشركه فيها أحدٌ من البشر؛ لذلك الآن أحدث الأقفال أقفال تعمل على القُرحية، يضع صاحب القفل عينيه على الثقبين فيُقتح الباب، وأي إنسانٍ آخر لا يُفتح الباب له، وكذلك بصمة اليد، وبلازما الدم. سيحان الله...

فالإنسان فردٌ، ولكرامته على الله ميزه بصفات فريدة يمتاز بها عن غيره من المخلوقات، ثم سمح له أن يُشرِّع من الآيات الكُلِّية أحكامًا تفصيليَّة، ثم سمح له أن يُبدع، ثم سمح له أن يختار، فالإنسان مريد والإرادة من صفات الله، والإنسان مُبدع والإبداع من صفات الله، والإنسان يُشرِّع استنباطًا والتشريع من صفات الله عزَّ وجل، والإنسان فرد والله سبحانه وتعالى فرد (ولكن ليس كمثله شيء)، وهذا كلُّه لكرامته على الله.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى آَنَشَا كُرُ وَجَعَلَ لَكُرُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفَئِدَة ۗ قَلِيلًا مَّا تَشَكُرُونَ ﴿ ﴾ سورة الملك/ ٢٣.

أي: أعطاك قوةً إدراكية، أنشأك وسمح لك أن تعرفه، أنشأك وأعطاك أجهزةً كي تعرفه، أنشأك ودلَّك عليه، أنشأك وشقَّ لك الطُّرق إليه.

كيف نشكر هذه النعم؟

إن شكر هذه النعم أن تُعْمِلَها لما خلقت له، فهذه العين إذا نظرت بها إلى آيات الله وعظّمت الخالق فقد شكرت الله عليها، وهذه الأذن إذا استمعت بها إلى الحق وتأثرت به شكرت الله عليها، وهذا الدماغ (العقل)

إذا أعملته في التعرُّف إلى الله، وفي محاكمة القضايا المصيرية، وفي فهم القرآن وفي تعليمه فقد شكرت الله عليه.

وكم من إنسانٍ يستخدم هذه الحواس في المعاصي والآثام؛ يطلق بصرَه في الحرام، يملأ عينيه من الحرام، يتتبع بهما عورات المسلمين، يستمع إلى اللهو الرخيص، إلى اللهو الذي يَصُدُّ عن سبيل الله، يقتني هذه الأطباق الفضائية ليبقى إلى ساعةٍ متأخرةٍ من الليل يُتابع الفُحش والمجون، هذا كلُّه بالعين، وقد يستمع إلى الأغاني الساقطة بهذه الأذن، ويفكر في المعصية بالدماغ، فشكر هذه النعم أن تُعملها بها يرضى الله عزَّ وجل.

﴿ قُلُ هُو ٱلَّذِي ذَرَأَكُمُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ١٤٠ ﴾ سورة الملك/ ٢٤.

ذرأكم: خلقكم ونَشَرَكُم، انظر إلى الطرقات في المدينة مليئة بالأشخاص ذاهبين وآيبين، في أحد البلدان تمشي أربعمئة كيلو متر وليس ثمة انقطاع في البُنيان إطلاقًا، لم يعد هناك مدن وقرى، مكان واحد متصل، أبنية متصلة، من ذرأ هؤلاء الناس في هذه البلاد؟ في هذه السهول؟ في هذه الجبال؟ في هذه الوديان؟ في هذه السواحل؟ في هذه الصحاري؟ اركب طائرة وانظر كيف وُزِّعت هذه البلاد وكيف امتلأت بالناس.

﴿.. وَ لِلْنَاهِ تُحُشَرُونَ ﴾، العودة إليه يوم الحساب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا ٓ إِيَابَهُمُ اللهُ عَلَيْنَا حِسَابَهُم اللهُ سورة الغاشية/ ٢٥-٢٦.

الإنسان حينها يعرف مصيره ينبغي أن يحسب حسابًا لهذا المصير، تحرَّك كيفها تريد، افعل ما بدا لك، قل ما تريد، وكها قال الله عزَّ وجل: ﴿أَعْمَلُواْ مَا شِئْتُمُ ﴾ سورة فصلت/ ٤٠، كل هذا مسجلٌ عليك، لقوله تعالى:

﴿ سَنَكُمْتُ مُا قَالُوا ﴾ سورة آل عمران / ١٨١، كل حركات الإنسان وسكناته وتصرُّ فاته، قطيعته ووصله، رضاه وغضبه، عطاؤه ومنعه، بشاشته وعبوسه، فعله وكلامه كل هذا مسجل عليه، ومحاسبٌ عليه.

فالمصير إلى الله وهو مطلعٌ علينا وسيحاسبنا على كل أعمالنا، لذلك فإن العاقل هو الذي يفكِّر في هذا اللقاء الذي لا بدَّ منه، والأحمق هو الذي يغفَل عن هذا اللقاء.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَاذَا ٱلْوَعَدُ إِن كُنتُمُ صَادِقِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ ١٥، قولهم وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا فيه استهزاء.

في حياتنا الدنيا نكون في الصيف فإذا بالشتاء قد أتى، ونكون في الشتاء فإذا بالصيف قد حلّ، إذًا البرديأتي، والحرُّ يأتي، والأشهر تتابع، والسنوات تأتي بعضها بعد بعض، والفصول تأتي تباعًا، والدنيا ساعة، فاجعلها طاعة، كل واحد له عُمُر؛ أربعون، ستون، سبعون سنة... كيف مضى هذا العُمُر؟ كساعةٍ من نهار، وهكذا تمضي بقية الأعوام، والدنيا حلم، الإنسان أحيانًا ينخلع قلبُه إذا كان مُرتاحًا في بلدٍ ما ويحمل إقامةً ثم يُعطَى مغادرة بلا عودة، فكيف إذا كان الأمر مغادرة الدنيا بلا عودة وكل شيء سوف نحاسب عنه؟

﴿ قُلَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿ ٢٦ ﴾ سورة الملك / ٢٦.

التوقيت عند الله، أما الحدث فواقع لا محالة. أي: أنا أنذركم هذا اليوم، أما متى يأتي؟ فهذا علمه عند الله.

هـذه الآيات دقيقة جـدًّا، فالذي يعصي الله عزَّ وجـل على أيِّ شيء يعتمد؟ هل يضمن سـلامة أجهزته لساعة واحدة؟! من أدعية النبي عليه

الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فَجْأَةِ نَقْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَجَمِيع سَخَطِكَ». أخرجه مسلم.

﴿ فَلَمَّا رَأُوْهُ زُلْفَةً سِيَّتَ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَلَا ٱلَّذِى كَنُتُم بِهِ عَلَى اللّ تَدَّعُونَ ﴿ اللَّهُ ﴾ سورة الملك / ٢٧.

رَأُوهُ زُلْفَةً: أي رأوا العذابَ قريبًا منهم.

أفضل إنسان شابٌّ نشأ في طاعة الله:

فالبطولة أن تعرف الله وأنت شاب، وأنت في ريعان الشباب، وأنت وصحيح البدن، وأنت معافى في جسمك، وقوي في بنيتك، ففي خريف العمر أكثر الناس يعودون إلى الله، فتجده يلزم المسجد، ولكن أين أمضى شبابه؟ أين أمضى فتوته؟ كيف حصل على ماله؟ أين أنفقه؟ كيف أمضى السهرات الطوال خلال خمسين عاماً؟ مع مَن التقى؟ إلى أين سافر؟ ماذا فعل في السفر؟ أما حينها يصل إلى السن الحرج.. يلزم المساجد ويؤوب إلى الله، وهذا جيد، لكن هذا رجوع فيه ضعف شديد؛ لأن ريح الجنة في الشباب، فيجب عليك أن تكون مستقيهًا وأنت شاب، وأنت في الشباب، فيجب عليك أن تكون مستقيهًا وأنت شاب، وأنت في ريعان الشباب.

والحقيقة أن أهل الدنيا مها امتد بهم العمر، ومها استمتعوا بالملذّات، في النهاية إذا حكَّموا عقولهم ثانيةً فإنهم سيعودون إلى الله، فقد يكون الإنسان مُلحدًا فيصبح مصليًا، كان فاسقًا ثم بدأ يلتزم، كان لا يعرف أن يقرأ شيئًا من القرآن على الإطلاق فبدأ يتعلمه، كان يمضي السهرات الطوال في أماكن لا تُرضي الله والآن تاب وعاد إلى الله، هذا شيء جيد، نسأل الله العفو والعافية.

يوجد أشخاص عرفوا الله َفي الخمسين، أو في الستين، ولكن بيوتهم غير منضبطة، فلم يستطيعوا أن يضبطوا أهلهم ولا أولادهم وهؤلاء في خطر... يجب أن ينتبهوا...، الإنسان كلُّم كان مبكِّرًا في معرفة الله استطاع أن يشكِّل حياته تشكيلًا إسلاميًّا، فأحيانًا يختار حرفة لا تُرضى الله عنه فيضع كلُّ خِبراته فيها، كما يضع كلُّ رأس ماله ولا يوجد عنده غيرها، فيفعلها مضطرًا، فكلُّما كنتَ مبكرًا في معرفة الله المعرفة الحقيقة شكَّلتَ حياتك وفق منهج الله، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنُ أَسَّسَ بُنْكَنَّهُ عَلَى تَقُوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضُوانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَكُنَهُ، عَلَىٰ شَفَا جُرُفِ هَادِ فَأَنَّهَارَ بِهِ عِنْ نَارِ جَهَنَّمُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴿ ١٠٩ ﴾ سورة التوبة/ ١٠٩. عملك جزء من بنيانك، فالمؤمن الصادق يختار عملًا شريفًا، قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ رُوحَ القُـدُسِ نَفَثَ فِي رُوْعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تموتَ حتى تَستَوفِيَ رِزقَها، فاتَّقوا الله عبادَ الله، وأَجْمِلُوا في الطَّلبِ، واستجملوا مِهَنكُم» رواه ابن ماجه والحاكم وابن حبان. روح القدس: جبريل عليه السلام. نفث في روعى: اي أوصى إلى. أجملوا: أحسنوا فيه اطلبوه حلالاً. واستجملوا مهنكم: استحسنوا مهنكم.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِى ٱللَّهُ وَمَن مَعِى أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَفِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمِ اللَّهُ سورة الملك / ٢٨.

تقييم الناس من شأن الله وحده:

قال تعالى: ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَ إِذَا الْهَتَدَيِّتُمْ ﴾ سورة المائدة / ١٠٥، إنك تجد همَّ الناس الوحيد عند سماع المواعظ والمحاضرات هو: العالم الفُلاني، والشيخ الفُلاني، هذا يفهم وهذا لا يفهم، هذا اشترى وهذا فعل، فإذا كان صاحًا فله صلاحه، وإن كان سيئًا فعليه إثمه، فلهاذا

تتدخّل أنت في الموضوع؟ إنك محاسب على عملك، فإذا لم يعجبكَ كلُّ العلهاء فهل تنجو، فكل إنسان العلهاء فهل تنجو أنت من عذاب الله؟ لا.. إنك لن تنجو، فكل إنسان محاسب عن عمله، قد تجد شخصًا عاديًّا جدًّا وهمُّه الوحيد أن يُقيِّم الناسَ، وأن يوزِّع ألقاب المديح والذم كيفها اتفق، وهو مُنغَمِسُ بالمعاصي، فإذا أعجبك هذا الإنسان أو لم يعجبك فإن هذا لا يُقدم ولا يؤخر بالنسبة لك.

هـؤ لاء الكفّار امتلؤ واغيظًا من رسول الله على الله ولو أن الله رَحِمَ النبيّ وأصحابه.. فهل ينجو الكافر من عذاب الله؟ لا؛ فكُلُّ إنسانٍ محاسَبٌ عن وأصحابه.. فهل ينجو الكفار من عذاب الله؟ لا؛ فكُلُّ إنسانٍ محاسَبٌ عن نفسه، فالنقطة الدقيقة: أنه لا علاقة لك بالآخرين؛ فتقييم الناس من شأن الله، قال تعالى: ﴿وَكَهٰى بِرَبِكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ عَجَيرًا بَصِيرًا الله السوة الاسراء / ١٧. أرح نفسَك من تقييم الآخرين، طوبي لمن شغله عيبُه عن عيوب الناس، قال رسول الله عليه الأخرين، طوبي لمن شغله عيبُه عن عيوب الناس، عن أبي هريرة مرفوعًا.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْنَنُ ءَامَنَا بِهِ ء وَعَلَيْهِ تَوَكَّلُنَا فَسَتَعَلَمُونَ مَنْ هُو فِي ضَلَالٍ مُّبِينِ ال

التوكل على الله:

من سعادة الإنسان في هذه الدنيا أن يتوكّل على الله؛ فالتوكّل على الله مُريح، فإذا أردت أن تكون أقوى الناس قاطبةً فتوكّل على الله، ولكن الناس يجعلون التواكل مكان التوكّل، التوكّل محلّه القلب، والسعي محلّه الأعضاء، فالناس يجعلون التوكل في الأعضاء، أي: يتكاسلون فلا يعملون.

هناك ما يسمى بفقر الكَسَل، وفقر القَدَر، وفقر الإنفاق، وغنى البَطَر، وغنى البَطَر، وغنى الكفاية: وغنى الكفاية: «اللَّهُمَّ مَنْ أَحَبَّنى فاجْعَلْ رِزْقَهُ قُوتًا [أي كفافًا]» متفق عليه عن أبي هريرة.

أما غنى البَطَر [الزائد عن الحاجة، والذي يودي بصاحبه إلى الإنفاق على ما لا ضرورة له] فجعله النبي عليه الصلاة والسلام أحد أكبر المصائب، حيث قال: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا؛ هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَو عَنَى مُطْغِيًا، أَو مَرَضًا مُفْسِدًا، أَو هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَو مَوْتًا مُجُهِزًا، أَو الشّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُ» رواه الترمذي عن أبي هريرة.

ورد هذا الحديث في باب المبادرة إلى الخيرات، وفيه حثٌّ على الإقبال على الله بالجد من غير تردد.

ومعنى (بادروا): أي سابقوا وتسابقوا إلى الأعهال الصالحة ذات النفع لئلا يأتيك أحد هذه السبعة:

- ١. الفقر المنسي: فالفقر مع الجهل ينسيك أحياناً الصلاة أو أن تؤدي واجباتك نحو عيالك.
 - ٢. الغنى المطغي: غنى بلا علم يزيد الشهوات دون وازع.
- ٣. المرض المفسد: المرض بدون الصبر واللجوء إلى الله تعالى يفسد عليك حياتك.
- ٤. الهرم المفند: كبر السن في معصية الله يصير صاحبه موضع سخرية وتأفف المحيطين به.

- ٥. الموت المجهز: الموت الفجائي.
- ٦. الدجال: المسيح الدجال، أحد علامات الساعة الكبرى.
 - ٧. الساعة: يعنى يوم القيامة.
 - ٨. أدهى وأمر: أعظم وأشد بلاءً.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآ وُكُو غَوْرًا فَهَن يَأْتِيكُم بِمَآءِ مَّعِينٍ ﴿ اللَّهُ ١٣٠ .

الله سبحانه في بعض الأيام يذيقنا بعض الجفاف، قد تأتي سنواتُ عِجاف تجف فيها المياه أو تغور في الأرض الجرداء، ويموت النبات، يموت الحيوان.. ﴿...فَنَ يَأْتِيكُم بِمَآءِ مَعِينٍ ﴾، أي: من يأتيكم بمياه زُلال لبقاء حياتكم؟ الله جلَّ جلاله.

ثمة عذابٌ في الدنيا وعذاب في الآخرة، وعذاب الدنيا تذكيرٌ بعذاب الآخرة لقول الآخرة وعذاب الدنيا تذكيرٌ بعذاب الآخرة لقول تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّرِ الْعَذَابِ اللَّذَانِ الْعَذَابِ اللَّاكَبُرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ اللَّهُ سورة السجدة / ٢١.

والحمد لله رب العالمين.

المراجع

- ۱ أغلب شرح الكلمات وهداية الآيات من كتاب «أيسر التفاسير لكلام العلى القدير» للشيخ أبوبكر الجزائري رحمه الله .
- ٢ التفسير الموضوعي للسورة من كتاب «نحو تفسير موضوعي لسور
 القرآن الكريم» للشيخ محمد الغزالي رحمه الله .
- ٣- شرح تفصيلي للسورة من «خواطر ومحاضرات الدكتور محمد راتب النابلسي» حفظه الله.

الفهرس

٥	إهداء
٧	إهداء
۱۳	سورة الملك: آياتها
۱۳	تسميتها
	أسباب نزولها
١٥	فضلها
	السورة: النص ومعاني الكلمات مع هداية الأيات١٦.
۲۳	التفسير الموضوعي لسورة الملك للشيخ محمد الغزالي
۲۸	التفسير التفصيلي من محاضرات خواطر الدكتور محمد راتب النابلسي
٣٢	لماذا قدم الله عزوجل الموت على الحياة؟
	ما هو الموت؟
٣٧	ما هو التفاوت المقصود؟
٣٨	تفكر وتدبر في:
٣٨	١ - ماء العين
٣٨	٢ - منقار الصوص «فراخ الطير»
	٣- الزائدة الدودية والغدة الصنوبرية
٣٩	٤ – عدسة العين
٤٠	جمال الدنيا نموذج مصغر عن جمال الجنة
٤٢	وظائف النجوم
٤٢	لماذا لم يفسر النبي صلى الله عليه وسلم الآيات الكونية؟

هل يجب توحيد العناوين حسب أم الفهرس أم الفهرس كما هي؟ كما هي؟ الرجاء مراجعة جميع العناوين في الفهرس قبل

٤٣	برزخ بين البحرين
٤٤	ذبح الشاة بقطع أوداجها دون رأسها
٤٦	ما النذير؟ما النذير؟
٤٧	ما الحكمة التي ارادها الله من ختم الرسالات بمحمد عليه الصلاة والسلام؟
	حقائق الغَيْب
٥١	الإيمان بالغيب وحدود العقل
٥٩	ما مناسبة (اللطيف الخبير)؟
٦٣	الزلازلالنزلارل
٦٨	أنت في قبضة اللهأنت في قبضة الله
٧.	غرور الكافرين
٧١	البقاء والرزق بيد الله وحده
٧٣	طريق الحق وطريق الضلال
٧٤	المؤمن يحيا على بصيرةالمؤمن يحيا على بصيرة
٧٥	أهمية المنهجأهمية المنهج
٧٩	كيف نشكر نعم الله؟
۸.	١ – السمع وأداته الأذن
۸۲	٢ ـ البصر وأداته العين
٨٤	٣- الدماغ والذاكرة
۸۸	أفضل إنسان شاب نشأ في طاعة الله
٨٩	تقييم الناس من شأن الله وحده
۹.	التوكُّل على اللهالتوكُّل على الله
	المراجعا
90	الفهرسالفهرس الفهرس الفهرس المناسب